السنة التاسعة    العدد ٢٠    ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٠٦

# المشرق

## تجارة سواحل سوريَّة

### في الاجيال المتوسّطة

لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

لا بحرَ في هذا الكون احرزَ لهُ مجدًا اثيلًا في التاريخ مثل البحر المتوسّط الذي يبسط مياههُ الزرقاء امام سوريَّة ويكسّر امواجهُ على شواطئها . فمن الابحار ما اغمر قسمًا فسيحًا من الكرة الارضيَّة ومنها ما استلفت الابصار بطوارئهِ وحوادثهِ . امَّا البحر المتوسّط فانَّ شهرتهُ لا تتوقَّف على اسباب كهذه فهو يمٌ لا مشاهدَ فيهِ رهيبة حتَّى ولا يقوم بذاتهِ بل اوشك ان يكون للمحيط الاتلنتيكي خليجًا لاتّصالهِ بهِ عند بوغاز جبل طارق لكنَّكَ اذا اعتبرتهُ معدومًا فقدتَ ثلاثة آلاف سنة من اعظم تواريخ البشريَّة وافخم آثارها والبرهان على ذلك سهل المنال نكتفي لايضاحهِ بكلام بليغ اتى بهِ الشاب الاديب الشيخ انطون الجميّل في خطبةٍ حديثة ألقاها في هذا الموضوع . قال :

« ان على شواطئ هذا البحر سطع نور التمدن وتجلى باكمل مظاهره . فالبحر هذا كان في غابر الأيام محور الحضارة وقاعدتها وسيكون كذلك في مستقبل الزمان فانهُ قد توفرت فيهِ كل شروط التمدن : التربة جيدة والسهول مخصبة والمعادن متوفرة والانهار عذبة تلك شروط تقدُّم الزراعة والفلاحة . السماء صافية زرقاء والشمس ساطعة منيرة والجوّ رائق والهواء خفيف والنسيم لطيف تلك شروط تقدم الشعر والفنون . ومن تقدم الفلاحة والزراعة والعلوم والفنون يتولّد النجاح المادي اعني الثروة وامتداد السلطة

« ان بحرنا هذا ليس الَّا بحيرة بالنسبة الى الاوقيانوس لكنهُ يظهر لنا في التاريخ

كالبحر الاكبر: كان مهد الشعوب ومنبت الابطال · حدثت فيه الحوادث المشهورة وجرت على شواطئه الوقائع المأثورة ففي ايّام الحرب كان ساحة الهيجاء · وفي ايّام السلم كان مجتمع العلماء · فمن يوم اكتشاف الفينيقيين فن الملاحة حتى اكتشاف كريستوف كولمب العالم الجديد كم من شعوب! كم من دول! كم من مدن! كم من مآثر · · · كلها حول هذا البحر »

ولسنا نزاول الآن إحصاء كل هذه المآثر الغابرة فحسبنا ايضاح اهميّة التجارة في هذا الحوض لكنّ موضوعاً كهذا لا تستغرقهُ مقالة واحدة مهما وسّعت نطاقها واوردت من الحوادث والوقائع فاقتصرنا على ثلاثة من الاجيال المتوسّطة نعني بها الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر · وكانت سوق هذه التجارة على وشك الاضمحلال في القرنين الثامن والتاسع لكنّها هبّت من رقدتها في القرن العاشر · وممّا حدا بنا الى إيثار تلك الاجيال دون غيرها هو ظهور كتاب نفيس يشهد لمؤلفه بسعة العلم ودقّة الفحص مدارهُ على هذه القرون الثلاثة (١ فاخترنا منهُ ما يدلّنا على تجارة سواحل سوريّة في تلك الايّام ضاربين صفحاً عمّا سواها من البلدان المجاورة

١ في الامم التي كانت تواصل التجارة في سوريّة

لسكّان ايطالية في هذا الشأن السبق والقدَم ولا عجب فان بلادهم تقوم على شواطئ البحر المتوسّط وتجاور الشرق والطريق امامهم مفتوحة فاستحثّهم ذلك الى الاتّجار مع السوريّين وكانت اوائل حكومات جنوة وبيزة والبندقيّة تقتسم ايطالية وتقوم كل بذاتها وتفرغ الجهد في توسيع نطاق التجارة وتوفير اسبابها فاقتحمت لجج الابحار واقلعت بمراكبها وبلغت شواطئ بلادنا الشرقيّة وذلك في ابّان الجيل الحادي عشر وفي الجيل التالي بلغت العلاقات بين سوريّة وايطالية أوجها لسبب الطوارئ التاريخيّة والاقتصاديّة سيّما بواسطة الزوّار الذين كانوا يؤمّون الاراضي المقدّسة

وفي بادئ بدء جارى الايطاليين بعضُ التجّار من اهل بلجكة وانكلترة انما شسع بلادهم انذرهم بالغلبة فعدلوا عن اسفارهم البعيدة (٢ · وممّا يقضي بالعجب هو اننا لا

(1 PROF. ADOLF. SCHAUBE. Handelsgeschichte der romanischen Voelker des Mittelmeergebiets bis zum Ende der Kreuzzüge. München, Œdenbourg, 1906, 8°, XX-816 pp.

٢) انظر الكتاب السابق (Schaube, 122, 124, 132)

نجد عندئذٍ اثرًا للمراكب الافرنسيَّة في سواحل سوريَّة لكنَّها ما عتمت ان أمتها تقلُّ تجارًا من مرسيلية (نحو سنة ١١٣٦) ثم اخذت بعض مرافئ جنوبي فرنسة كونبلّيه (Montpellier) وأرل (Arles) تبعث بسفنها ورغمًا عن ذلك لم تتوصَّل المرافئ الافرنسيَّة الى مجاراة جنوة والاستظهار عليها لان هذه بذلت جهدها وافرغت ما بوسعها لتبقي لتجارتها الفوز والغلبة (١ ولا بأس من الاقرار انهُ حتى بعد كسر شوكة جنوة والانتصار عليها لم يتوفَّق التجَّار الافرنسيون (٢ ان يحرموا الايطاليين مراكزهم الممتازة في سوريَّة والفوائد الراجعة اليهم من جرَّاء عدد مراكبهم ومواطنيهم الذين منذ امدٍ مديد تجرَّدوا للاتجار في الشرق لكنَّ مرسيلية من ذاك العهد اصبحت اعظم مرفإ افرنسي على البحر المتوسّط

## ٣ اهميَّة مرافئ سوريَّة في تلك الاجيال

لا مِرَاء ان المقام الاوَّل يرجع الى مدينة عكَّا فكانت اذ ذاك المرفأ الاعظم وقاعدة التجارة ومركز القناصل العامّين وقد نالت هذه الرتبة من علل تاريخيَّة فضلًا عن جودة مرساها. ثم تعقبها في الاهميَّة مرافئ صور وطرابلس واللاذقيَّة التي كانت تدعى حينئذٍ بمينا مار سمعان (٣ ثم اخيرًا بيروت. امَّا هذه المدينة فان تجارتها لم تكن في الجيلين الثاني عشر والثالث عشر الَّا في خطوتها الاولى (٤ لكنها كانت تتقدَّم رويدًا رويدًا حتى آل الامر بحكومة البندقيَّة ان تتيم فيها قنصلًا. ومنذ القرن الخامس عشر فازت على سائر المدن كما اظهرناهُ في تاريخنا للاخ غريفون (٥. وقد وجدنا بعض الذكر للمرافئ الثانويَّة في سوريَّة كيافا وحيفا وجبيل والبترون

ولم تكن نواميس الملاحة في ذلك العهد على مجراها اليوم. فمن ذلك انَّ ارباب السُّفن كانوا يتحاشون السفر في الشتاء خوفًا من انواء البحر. وكانوا يقلعون في الغالب

١) راجع الكتاب ذاته وجه ١٢٢ و١٤١ و١٧٧ و١٨٥ و١٨٦

٢) كان تجار الافرنسيين نظرًا لعدم اليسر يتَّحدون مرَّاتٍ كثيرة مع الاسبانيين ويتَّخذون لهم قنصلًا وحيدًا

٣) اكرامًا لدير مار سمعان العامودي الصغير القائم على الجبل العجيب

٤) انظر كتاب شوبي وجه ١٣٩

٥) انظر المشرق السنة الاولى (ص ١٥)

من بلادهم في فصلي الربيع والصيف ليكون رجوعهم الى مواطنهم في اواخر تشرين الاوَّل. ويبحرون جملةً في عدَّة مراكب متألفة ومتآزرة يبلغ احيانًا عددهـا ٢٢ مركبًا. وكان يمشي في رفقة هذه السفن التجارية بوارج لردّ غارات بعض القرصان الذين كانوا يخوضون البحر المتوسط ويوسعونهُ نهبًا وسلبًا. امَّا السفن الشراعيَّة فكانت معتدلة الكبر لا تبلغ حجم بواخرنا الحاليَّة وان كان بعضها كافيًا لنقل ١٥٠٠ راكب. والدليل على ذلك اوامر النقابة البحرية التي كانت تنهى عن مجاوزة هذا العدد (١ ولنا في رحلة ابن جُبير (ed. Wright) ما يؤيد ذلك ويثبت صحَّتهُ. وزد على هذا انَّ المراكب الحاليَّة مع سعتها تحتاج الى مواضع فسيحة لتجهيز الادوات البخاريَّة ولمستودعات الفحم وغير ذلك ممَّا كان الملَّاحون عنهُ في غنًى في ذلك العهد

### ٣ البضائع المشحونة من سورية

لو اردنا تعداد اصناف البضائع التي كانت تشحنها السفن التجارية في القرون الوسطى لظهرت للعيان محاسن الصناعة السوريَّة وترقّي زراعتها في تلك الازمنة. فممَّا كان تجار الفرنج يستبضعونهُ الحرير السوري وخصوصًا القطن في كميَّات بالغة وكانوا ايضًا يتسوَّقون الكتَّان غير المشغول فضلًا عن الانسجة الكتَّانيَّة والحريرية وكان للسوريين حذاقة كبيرة في استحضار الاقمشة البهية التي كان الاوربيُّون يعظّمون قدرها ويتنافسون في اقتنائها

وكانت صور في ذلك العهد لا تزال تتَّجر بالارجوان الذي اكسبها فخرًا وارباحًا طائلة في الاعصار السالفة. وكذلك اشتهرت تلك الحاضرة بآنيتها الصينيَّة وبزجاجها الفاخر وكانت معاملها معروفة لدى القاصي والداني. وكان الاوربيون ما عدا ذلك يقبلون على حرير انطاكية وزجاجها. وممَّا كانوا يشحنونهُ على سفنهم في كلّ المدن الساحليَّة وخصوصًا في صور وطرابلس السكَّر يبتاعون منهُ القناطير المقنطرة. وكانوا يضيفون اليه ضروب الاثمار والعقاقير والحشائش الطبيَّة والافاويه العطرية

وكان الفرنج في الاعصار المتوسطة يتوقون الى تجارة البهار (٢ وكان اكثر ما

١) اطلب كتاب الاستاذ شوبي (Schaube, 202)
٢) الكتاب المذكور (Schaube, 163)

يحصلون عليه في السواحل المصرية. لكنَّ البنادقة اتّجروا به ايضاً في حلب فكانوا يجلبون منهُ كميات وافرة كما أنهم كانوا يجدون في الشهباء اقداراً عظيمة من القطن والشب. الّا انَّ متاجرة اوربَّة مع حلب احدث عهداً لم يُباشَر بها قبل النصف الثاني من القرن الثالث عشر. ومن مرافقها انَّ كثيراً من خيرات الهند والعجم كانت تتدفق اليها وتتوفَّر فيها ·

٦ تنظيم المقامات التجاريَّة في سوريَّة

وكان تجّار الفرنج لا يكتفون فقط بالتجوُّل في مدن سوريَّة الساحليَّة للمتاجرة بأرفاقها بل كان قومٌ منهم يقيمون ايضاً في تلك الحواضر ازمنةً متباينة لمواصلة اشغالهم وكان لهذه المحلَّات نظام تجاريٌ خاصٌ بها والحكومة المحليَّة تسعى في تنشيطها وتوسيع نطاقها لما يترتَّب عليها من ترقية التجارة وتحسين احوال البلاد · وكذلك اهل المدن الساحليَّة كانوا يصرفون المجهود في فتح هذه المحلَّات في مرافئهم وتوفير التسهيلات مع اربابها كخفض بعض الضرائب على اصناف البضائع وتميّيها بنعم أُخرى جرت بعدئذٍ مجرى الامتيازات ( Capitulations ) في أيام السلاطين العظام

وممَّا كان يألفهُ التجّار الاجانب انهم كانوا يسكنون في حيٍ واحد فيأنسون بالمجاورة وكانوا عادةً يشيّدون لهم في جيرتهم كنيسةً ليقيموا فيها فرائضهم الدينيَّة · وكانوا يلحقون بحيّهم المذكور بعض المستودعات لصوان البضائع التجاريَّة ويتَّخذون لخبزهم فرنًا عموميًا وحمّامًا للاغتسال · ذلك كان مجمل ما يحتويهِ حيّ الفرنج في كلّ مدينة · ولمَّا كان اهل الحيّ في حاجة الى تدبير امورهم وتنجيح متاجراتهم وانهاء المخاصمات الطارئة بينهم اقتضى الامر ان يُقام لهم قناصل ينظرون في امورهم ويحفظون السلام بينهم · واوَّل ما ورد اسم هذا العامل في جملة النزّالة الجنويَّة التي كانت في عكّا في اواسط القرن الثاني عشر ودعوهُ اوَّلًا بنائب القمص ( Vice-Comes, Vi-comte ) ثمَّ انتشرت هذه الرتبة في امكنة شتَّى في النصف الثاني من ذلك الجيل وعُرف اصحابها بالقناصل · وأُطلق اسم القناصل اوَّلًا على الايطاليين. امَّا الفرنسويون فاوَّل من نال منهم رتبة القنصل انّما حظي بها سنة ١١٨٧ في صور (١

١) من اراد الوقوف على تاريخ القناصل في الشرق عليهِ بمراجعة تأليف شوبي Schaube ( 128, 137, 139, 175-6, 187 etc. )

*

هذا نظر عموميّ يبيّن للقرّاء ما ضمّنهُ الاستاذ شربي كتابهُ من المواد المختلفة والمعلومات المتفرّقة المنبثّة في كتب متعدّدة فراجع كلّ الجاميع التي كان يؤمّل ان يلقى فيها لابحاثهِ فوائد جديدة . وقد سرد جدولاً واسعاً لهذه المصنّفات التي وقف عليها فلم نكد نجد فيها خللاً الّا في النادر فانهُ مثلاً لم يذكر تآليف العلاّمة يورغا (Jorga) من علماء رومانية . امّا المصادر الشرقيّة فان المسيو شربي راجع منها ما وجدهُ منقولاً الى لغة اوربيّة ولو امكنهُ مطالعة التآليف الاصليّة — وكثيراً ما هي — لاستفاد منها فوائد جمّة لتأييد معارفهِ ولانتقاد ما ذكرهُ من المعلومات

وهذا النقص صغير بالنسبة الى ما وجدهُ المؤلف فاودعهُ في مصنّفهِ النفيس الذي يدلّ على طول باع الالمان في معرفة احوال الشرق . ومّما يثبت دقّتهُ في الامور انهُ لا يؤكد شيئاً دون ان يثبتهُ بالحجج والاسانيد الوضعيّة . وعليهِ فان هذا الكتاب ليس هو فقط اهلاً بالمطالعة بل هو جدير بالدرس الطويل . وغاية ما نتمنّى ان يتولّى العلماء على مثال المسيو شربي تاريخ التجارة البحريّة في بحر الشام مدّة الاعصر التي لم يتعرّض لكتابة اخبارها



# رحلتي الى الشوا

## او من هرر الى اديس ابابا عن طريق التشرشر

للصيدلي القانوني عبدالله افندي ميخائيل رعد (تابع)

عن مضرب كرّا كوركورا — الثلاثاء ٢٢ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة الثالثة عشرة) لم نجد في هذا النهار شيئاً يُذكر فانا نصبنا المضارب في نفس وادي التشرشر الذي اقمنا فيهِ امس وكان الطريق بين هاتين المحطّتين كلهُ مكشوفاً ساطعاً بانوار الشمس لا صعود فيهِ ولا انحدار . ولكنَّ مزدرعات البنّ في هذا السهل كثيرة ويوجد في طرفهِ الجنوبي بحيرة كبيرة رأيناها عن بُعد نحو كيلومتر واحد على شمال طريقنا يدعوها الاهلون بحيرة التشرشر وهي توازي تقريباً بحيرة هرامايا التي وصفناها سابقاً . اما محل مقامنا فهو رابية صغيرة من روابي هذا السهل وبجانبها نبع ماء . أجاج

والمراعي فيه قصيرة العشب ناشفة ولولا ان هذه الايام موسم المطر لكانت هذه الامصار قاعًا صفصفًا إلّا المحلات القريبة من مجرى الانهر التي ذكرناها امس وهي تصبّ مياهها في هذه الناحية التي تشتمل على حقول مزروعة ذرةً وبنًا. وكان مسارنا شديد الحرارة في هذه المحطّة وستكون محطاتنا فيما بعد اكثر حرارة بالتدريج حتى نصل الى نهر الاوّاش فندخل في صحراء الدناكل حيث حمارّة القيظ محرقــة كحرارة جيبوتي وعدن في ايام الصيف او اعظم

*

عن معسكر گالامسو — الاربعاء ٢٣ ايار

( المرحلة الرابعة عشرة ) مرحلتنا اليوم كرحلتنا في الامس لا صعود فيهـا ولا انحدار الّا ما قلّ فانهـا في نفس سهول وادي التشرشر تتخلّلها أكَمات من محل لآخر وبعض اشجار متفرّقة هنا وهناك وقد مررنا على بعض الانهر والسواقي التي تروي مزارع البنّ وهي ثروة هذه البلاد غير ان هذه المرحلة كانت اقلّ حرارة علينا من المرحلة السابقة لان السماء تلبّدت بالغيوم وعلى جهتي الطريق مزارع خضراء من شأنهـا ان تُرطّب حرارة الهواء. اما المحل الذي ضربنا فيه سرادقنا ويدعى گالامسو فهو عبارة عن رابية تطلّ على السهل من جهاتهِ الاربع وعلى روابي وجبال بلاد التشرشر وكلها خالية من الاشجار الّا ما ندر انّنا تكسوها في هذه الايام حلّة من عشب قصير مائل الى الصفرة. امّا في ايام فصل الجفاف فتكون كلها قرعاء صلعاء. ومن المحتمل ان نُقيم نهار الغد في هذا المحل راحةً للبغال قبل ان نتوغّل في الصحراء حيث لا تجد هذه البهائم مرعى حتى ولا نقطة ماء في احدى المراحل

*

عن معسكر گالامسو — الخميس ٢٤ ايار

مكثنا اليوم في معسكرنا ليس فقط راحةً للبغال ولكن بحكم القسر ايضًا لأن العواصف توالت علينا في هذا المحل الليل كلهُ والنهار الى نحو الظهر فكانت الامطار تسقط مدرارًا على هذه الناحية. ولذلك لازمنا مضاربنا الى نحو العصر ثم ذهبنـا الى الصيد فعدنا ببعض الحجل والدجاج البرّي

عن معسكر لاگاهرديم — الجمعة ٢٥ ايار

( المرحلة الخامسة عشرة ) لم نسر في هذا الصباح ساعةً من الزمان بين السهول الخضراء حتى انتصب امامنا جبل مرتفع فصعدناهُ وكانت العقبة وعرة . وهذا الجبل يقوم على حدود بلاد التشرشر . ثم هبطنا بعد ذلك الى ناحية اخرى هي اول الجهة المتوسطة بين الامارة الهررية والصحراء . وهذه البقعة كلها جبال واكات صخرية تغطيها الادغال فاصبح طريقنا صعباً وظللنا هكذا حتى انتهينا الى لاگاهرديم فضربنا فيها الخيم

لاگاهرديم هو سفح جبل عالٍ تكسوهُ الادغال حرارتهُ قويّة وليس فيه عشب يُشبع المواشي خلافاً لما تعوّدنا مرآه من المراعي الخصبة التي مررنا عليها منذ خروجنا من هرر . ويجري في اسفل هذه الجهة نهرٌ يُدعى نهر هرديم ماؤهُ عكر . وكان مقامنا على اكمة صغيرة تطلّ على القرية وعلى مقربة منا يوجد جمرك للدولة الحبشيّة ومحطّة للتلفون . وقد وانتنا النصيب فامطرتنا السماء وخفّفت قليلاً حرارة الشمس ولكن الحمّة كثيرة الحمّى وخصوصاً وقت الامطار على انّنا لم نهتمّ لذلك فان اقامتنا فيها وجيزة



*

عن مضرب أرگاگا — السبت ٢٦ ايار

( المرحلة السادسة عشرة ) قال المثل الشامي ان « لا طلعة الّا ووراءها نزلة » وتريد عن الحبشة ان لا نزلة ايضاً الّا ووراءها طلعة . فقد ابتدأت مرحلتنا اليوم بصعود الى جبلٍ تنطح قمّتهُ القبّة الزرقاء ثم هبطنا بعدئذٍ الى وادٍ عميق ثم صعدنا ثم نزلنا حتى دخلنا اوائل الصحراء . فشعرنا هناك بحرّ قوي فاسرعنا الجري حتى لا يطول مسيرنا في هذا الأتون والشمس تواصل الاحتدام على رؤوسنا حتى ضربنا معسكرنا في ارگاگا

ارگاگا حوض ماء في اوائل الصحراء يُقيم المسافرون قربهُ زمناً وتحفّ به الادغال الكثيرة الشوك واشجار الميموزا الشوكيّة المتدّة الاغصان الكثيرة الحسك والصغيرة الورق حتى كأنَّ لا ورق عليها وهي لذلك لا تُعطي الّا شبه الظل فلجأنا الى المضارب لشدّة وطأة الحرّ وقاسينا ما قاسيناهُ في ذلك الأتون المتأجج وابقينا قبعاتنا البيضاء

على رؤوسنا خوفاً من الرعن الى ان قارب الغروب فترطّب الهواء قليلاً . وسنجعل منذ الآن وصاعداً مسيرنا قبل الفجر الى الساعة الثالثة صباحاً ونستأنفهُ العصر الى الساعة الثامنة مساء حتى نجتاز الصحراء الدنكلية ونعود الى التوغل في البلاد الباردة فنرجع حينئذٍ الى عادتنا الاولى . ولله الشكر فان مسافة الصحراء قصيرة

*

عن معسكر نهر اوآش — الاحد ٢٧ ايار

( المرحلة السابعة عشرة ) رحلنا من ارگاگا قبل بزوغ الفجر وكان مرامنا ان نتناول طعام الظهر على مجرى نهر اوآش ونمكث الى العصر لنستظل في الهجيرة ثم تابع السفر حتى نجعل مضاربنا عند جبل فنتالي القائم وسط الصحراء . وكنّا اضطررنا ان نمكث على ضفَّة هذا النهر لان البهائم اصبحت منهوكة القوى من التعب والحرّ ولم يستطع خدَمتُنا ان يحمّلوها ثانية . وطريق هذه المرحلة تمرّ في سهل وادغال شوكيَّة يابسة وحجارة سوداء وحرّ محرق وهي صفاة الصحراء . وقد اقمنا على الضفَّة الشماليَّة من النهر بعد ان وقفنا نحو نصف ساعة على شاطئ المياه لنغسل وجوهنا ونسقي بهائمنا . ثم مررنا على الجسر الحديدي المنصوب هناك منذ نحو عشرين سنة وصعدنا مكاناً صعباً حتى اتينا السهل على الضفَّة الشماليَّة وترلنا في وسط الصحراء ونالنا ما نالنا في ذلك الأتون الدنكلي حتى مالت الشمس فتنفَّسنا قليلاً . وسنرقد في هذه الليلة خارج الخيام اذ لا طاقة للنوم في داخلها لشدَّة الحرّ

اوآش نهر كبير يوازي نهر بردى الدمشقي في موسم زيادتهِ او يفوقهُ . وهذه قوَّة الاوآش في ايَّام الجفاف . انما ماؤهُ عكر احمر لما يجري معهُ من الصلصال الناعم وهو ينبع في داخليَّة الشوا على مقربة من اديس عالم حيث كان خطر للنجاشي منليك ان يجعل عاصمة مملكتهِ ثم رجع عن عزمهِ هذا وثبت في اديس ابابا . ويدور هذا النهر حول جبال الشوا وتنصبّ فيهِ انهر كثيرة صغيرة وعيون ماء وسواقي ثم يسيل في الصحراء تارة متَّسع المجرى في السهول وعلى الرمل وطوراً محصوراً في الوهاد وبين الصخور حتى يتوغَّل في هذه الاقفار فتنضب مياههُ رويداً رويداً فيذهب بعضها بالتبخُّر ويغور الجزء الاكبر في قلب الارض الرمليَّة حتى ينشف النهر تماماً . ويقدر الاهالون ان ينتفعوا منهُ ويستعملوا مياههُ لري اراضي فسيحة يحوّلونها الى جنَّات تدرّ ذهباً .

ولكن اين تجد من يعمل ومن يزرع ومن يفهم اهميَّة هذا المشروع في هـذه البلاد الهمجيَّة ؟ . . .

وفي الجهة التي يمرّ فيها طريق اديس ابابا تجد مياه هذا النهر محصورة ضمن وادٍ وهي قد ثلمت صخرَهُ الاسود اللون مع كرور الاجيال حتى اصبح كانهُ منقور بايدي الناس على مسافة طويلة يتخلَّلها بعض المحلّات الخالية من الصخور الضخمة حيث يتّسع النهر ويقلّ عمقهُ. ففي مثل هذه المحلّات يستطيع المسافرون ان يستقوا ويسقوا بهائمهم . وقد نظرتُ بعض الشلّالات القليلة العلو على مقربة من معسكرنا ولكنها ليست بذات بال وقد أُخبرت ان لهذا النهر شلّالات عظيمة مهيبة عالية تهبط منهـا المياه بهيئة مخيفة وذلك بين الجبال الحبشيَّة ضمن مملكة الشوا قبل وصول هذا النهر الى الصحراء . وكان قد قيل لي انهُ يوجد تماسيح كثيرة تعيش فيه ولكنّي لم ارَ شيئًا من ذلك في هذا المكان والمرجَّح ان هذا الحيوان يوجد منهُ كثيرٌ في الجهات الفسيحة حيث تكثر الاعشاب والادغال والاشجار على الضفَّات وحيث يندر مجيء الناس

وقبل ان نصل الى هذا النهر بنحو نصف ساعة مررنا على نهر آخر صغير قامت الاشجار الكبيرة والادغال المشتبكة على ضفَّتيهِ ملتفَّة الاغصان ولكنَّ مياههُ قد نضبت ونشفت ينابيعهُ في هذه السنة على طول مجراه . فعظم انذهال الاحبـاش من هذا الحادث ونسبوا ذلك الى تآويل شتَّى منها موت الراس مكونين الى غير ذلك من الخرافات . ولكن التفسير الصحيح لا يخفى على مَن يتمعَّن في المسألـة عقليًّا وهو ان الاحباش دأبهم قطع الاحراج حتى اصبح نصف بلادهم خاليًا منها فجفَّت الارض وقد قطعوا الغابة التي كانت تغطي الجبـل الذي ينبع في سفحهِ النهر المذكور ويدعى « كاتشين وَها » واذ نشف هذا الطود واخذت الشمس تعمل فيـه بحرارتها كما تشاء نقصت المياه رويدًا رويدًا الى ان نضب النبع تمامًا . فهل يا ترى يعتبر الاحباش امثولة هذا النهر المحسوسة ليجعلوا حدًّا لقطعهم الاحراج في بلادهم بلا نظام وبدون غرس غيرها ؟

*

عن مضرب فنتالي — الاثنين ٢٨ أيار

( المرحلة السابعة عشرة ) مَن الذي يتجرَّأ على قطع هذه المرحلة في النهار ولا تعتريهِ ضربة شمس على امّ رأسهِ فتخمد انفاسه وتودي بحياته ؟ كلاّ ولا الاحباش انفسهم

يسافرون في هاته الجهة من الصحراء. الّا ليلاً. وعليه قد قمنا من ضفّة نهر اوأش اليوم عند الساعة الرابعة ونصف مساء اي قبل غياب الشمس بساعة ونصف في هذا الصقع وركبنا مطايانا ثم اخذنا بالجري السريع حتى قطعنا مضيق فنتالي على نور النهار ومع ذلك احتملنا ما احتملناهُ من الحرّ مع ان الشمس كانت قد مالت الى الغروب فكيف بها لو كانت تتضرّم هواجرها فوق رؤوسنا ؟ . . . اما هذا المضيق فهو في ملتقى قسمين من جبال فنتالي وقد مررنا بعد ذلك على معدن فحم حجري لكنّنا وجدناهُ بالأسف محروقاً من شدّة الحرارة وقد كسرنا قطعاً منهُ فرأيناها كقطع الرماد الحجري التي تسقط من نار القواطر في السكك الحديديّة. ثم تابعنا مسيرنا في الصحراء حتى درنا جبل فنتالي واتينا على نصف مسافته من الجهة الشرقيّة الساعة التاسعة ليلاً فوقفنا هناك ولم نضرب خياماً بل تناولنا العشاء وفُرش لنا تحت القبّة الزرقاء فرقدنا ولا غطاء علينا غير السماء ولا فراش تحتنا سوى ديباج الحضيض حتى الساعة الثالثة بعد نصف الليل فنهضنا ورُفعت الاحمال على نور المشاعل فسِرنا ( البقيّة للعدد الآتي )



# مجمع دير المخلص

المعقود تحت رئاسة البطريرك اثناسيوس الخامس جوهر سنة ١٧٩٠
تولى نشرهُ حضرة الاب كيرلّس شارون الرومي الملكي

## توطئة

قد تلاعبت ايدي الضياع باعمال هذا المجمع رغماً عن قرب عهده واوشكت ان تجعلها نسياً منسيّاً لكنّنا بعونهِ تعالى وقفنا على بعض نسخ منهُ منقولة عن النسخ الاولى المفقودة التي وقّعها غبطة البطريرك والسادة المطارنة وقد نشرت مجلّة المشرق ( ٨ : ٥٨ و ١١١ ) صورة الرسالة العامّة التي بعث بها البطريرك للمناداة بهذه الاعمال

ولكي يفهم القرّاء نظام مرتبة كراسي الاساقفة اوانئذٍ وجب التنبيه انهُ في ايّام كيرلّس السادس طاناس وفيما بعده من السنين ارتسم عدد من الاساقفة لكنّهم لم يتمكّنوا من الاقامة في كراسيهم فحفظوا فقط لقبها وهذا ما يدعوهُ المجمع « بالنظام القديم » . وفي النظام الجديد لم يتجاوز المطارنة ثمانية عدداً . وليعلم القارئ الكريم ان ما يوجد من الخلل والنقصان في هذه النسخة سببهُ بِلًى حدث للنسخة القديمة في مواضع شتّى فنرجو منهُ المعذرة ومن الله الثواب

# بسم الآب والابن والروح القدس آمين .

## الجلسة الاولى

انهُ في هذه الجلسة الكائنة في الساعة الثامنة من النهار اجتمع قدس السيّد البطريرك الكلّي الطوبى والاساقفة الكلّي شرفهم في كنيسة دير المخلّص حيث كان الانجيل المقدّس موضوعاً على كرسيّ باحتفال وجلال وجلس قدسهُ في المكان الأشرف والاساقفة المحترمون كلٌّ برتبتهِ وتلوا قانون المجمع النيقاوي مع لفظة «والابن» فافتتح قدسهُ بعد ذلك بعظة مختصرة حثَّ بها آباء المجمع على ان يوجهوا النيّة الى مجد الله والخير العام. ثم كلّف حضرة السيّد كيرِ اغناتيوس مطران بيروت ليعمل عظة على هذه الجمعيّة المقدّسة لاجل توضيح ما تقدّم وافادهُ قدسهُ في خطبتهِ المختصرة . وبعد كمال الوعظ شرعوا يتفاوضون بخصوص الإقرار بالايمان المقدّس الصريح وهل هذا يخصّ الجميع سيّما الداخلين بالايمان المقدّس جديداً او يخص الكهنة فقط وهم يبثُّونهُ لتلاميذهم ويُفهمونهم حقانيّتهُ وهل يلزم لذلك امانة اوربانوس (١ فبعد هذه المفاوضة اتّفق رأي قدسهِ مع رأي الاساقفة العام وحدّدوا القضايا الآتي ذكرها :

١ ان ينتظم قانون ايمان مستند على قوانين المجامع المقدّسة ويُنظم فيهِ الاعتقاد بالخمسة اشياء (٢ مع بعض قضايا أُخر . . . وتكون صورة هذا الايمان بمنزلة واسطة اعلان الايمان للكهنة الذين في الرعايا فيلزمهم ان يفهموها ويرشدوا بها رعاياهم سيّما الداخلين جديداً بالايمان المقدّس

٢ ان يُقبل كلما حدّدهُ المجمع التريدنتيني ممّا يخصّ الايمان والاسرار المقدّسة بمنزلة قاعدة قواعد الايمان وما حدّدهُ المجمع المذكور ممّا يخصّ التهذيب الكنائسي والعوائد الكنائسيّة وما يخص النظام في منح بعض الاسرار المقدّسة وغيرها ممّا لا يوافق

---

١) يريد صورة الايمان التي فرضها البابا اوربانوس الثامن على الشرقيين الراجعين الى الكنيسة الكاثوليكية . وقد طُبعت مراراً

٢) اي القضايا الخمس التي ينكرها المنفصلون وهي رئاسة الحبر الروماني وانبثاق الروح القدس من الآب والابن وسعادة الابرار برؤياه تعالى بعد وفاتهم والوفاء عن الذنوب المغتفرة في المطهر واستعمال الفطير في القداس

طقسنا الرومي وعوائد كنيستنا . ولا يوجب ادنى خطر في الاسرار المقدَّسة فلا نلتزم بممارسة ما ضادَّتهُ طقوسنا وعوائدنا المثبَّتة والممدوحة من الاحبار المعظَّمين

٣ لتلتزم كهنة الرعايا تحت الثقل ان يعتني كلٌّ منهم ايضاح التعليم المسيحي الكبير لكي يفهم منهُ اخصّ القواعد الدينيَّة ويفيد بها رعاياه . ثم يعتني قدسهُ والسادة مع الآباء رؤساء الرهبان بطبع التعليم المسيحي الذي حصل الاعتماد عليه متى فحص جيّدًا واتُّكد من قدسهِ

الجلسة الثانية

اليوم الثاني في ٥ تشرين الاوَّل عُقدت الجلسة الثانية باكرًا . انهُ بهذه الجلسة تُليت عمليَّات المجمعين المقدسين اللذين تمَّا بزمان السعيد الذكر البطريرك كيرلُّس فالمجمع الاوَّل سنة ١٧٥٢ والمجمع الثاني سنة ١٧٥٦ ثم الارشاد الذي حضر من المجمع المقدَّس ولاجل اطالة المفاوضة توقَّف التحديد

الجلسة الثالثة مساء

انهُ في هذه الجلسة بعد ان تفاوض آباء المجمع فيما يخصّ الشركة مع المشاقين في الامور الروحيَّة وفيما يخصّ الاسرار قد تحددت هذه الاوامر :

١ انهُ لا يجوز الاشتراك مع المشاقين في الاشياء الروحيَّة كليًّا

٢ انها لا تجوز زيارة كنائس الاراتقة ومقاماتهم بنوع من الانواع قطعًا . ومن ثمَّ لا تجوز لها النذورات ابدًا واذا وجدت نذورات للكنائس المذكورة فلتحقّ الى الكنائس الكاثوليكيَّة واما ما يخصّ الاسرار التي تلتزم جملة اشياء ضروريَّة لخدمتها حسب رسمها من السيّد المسيح فبعد الفحص عنها من آباء المجمع واطلاعهم على الخلل الجزيل الواقع عمومًا وخصوصًا في توزيعها من اكثر الكهنة في هذا الزمان قد اتَّفق رأيهم في تحديد الرسومات اللازمة لاصلاح كل خلل وابقوا تحريرها الى الجلسات الآتية بعد . . . ( انتهت جلسة ) اليوم الثالث في ستَّة تشرين الاوَّل

الجلسة الرابعة باكرًا في سرَّي المعموديَّة والميرون

ان قدسهُ الكلي الغبطة والسادة الكليّو الشرف قد اتَّفق رأيهم في هذه الجلسة ان يحدّدوا الاوامر الاتي ذكرها لاصلاح ما يصدر من الخلل في توزيع السرَّين المذكورَين

١ ان الكهنة خَدَمة الرعايا يلزمهم تحت ثقل الذمّة والقصاص الكنائسي بان يعلّموا القوابل صورة العماد ويفهموهنّ تلاوتها مستقيماً حتى اذا حصل خطر للاطفال حين ايلادهم يعرفوا ان يتلوا الصورة مستقيماً مع تقدمة النيّة ووضع المادّة الحقيقيّة وان الكهنة تفحص جيّداً القوابل وغيرهنّ من النساء اللواتي يكونَّ رشمنَ اولاداً كيف تمّمنَ ذلك لكي يعلم الكهنة ان كان تلزم اعادة العماد ام لا فليحذروا من العماد شرطيًّا حينما يجدوا خللًا ما واضحًا لانهُ حينئذٍ يلزم من دون شرط وليكونوا ايضاً مستيقظين في الاماكنة التي يوجد فيها قوابل مشاقين لانهُ يلزمهم لذلك ان يوصوا اهل المولود ان يرشموا الاولاد الذين تحت الخطر

٢ قد حتم آباء المجمع انهُ حيث توجد كنائس لا يجوز العماد في البيوت الّا عن ضرورة باهظة

٣ ان الكهنة تلتزم في خدمة هذا السرّ المقدَّس بلبس الحلة الكاملة الكهنوتيّة وباستعمال رتبة زنّار الولد بعد العماد وبعد اتمام الخدمة كلها يفكّ الزنّار بطقسه حسبما هو معيَّن في الافخولوجي ومن يسلك بالخلاف فيسقط بذات فعلهِ . . . ما عدا في الضرورة الباهظة

٤ قد امر هذا المجمع المقدَّس بان لا يقف اشبين في قبول المعتمد الّا مَن يكون كاثوليكيًّا وكامل السنّ اعني من خمس عشرة سنة فصاعداً وذلك يكون من اقرباء المولود واذا لم يوجد من اقاربهِ فليتقدَّم غيره حيث انهُ يكون مشهوراً لهُ بالتقوى وحسن السيرة وقبلًا يتطهَّر بالاعتراف النقي ومن ثمَّ قد يجب على الكهنة ان يفهموا الاشابين ما يلزمهم نحو اولادهم الروحيين من قبل وظيفتهم

٥ انهُ من حيث ترتَّب في الجامع المقدَّسة ان القرابة الروحيَّة اعني الصادرة عن المعموديَّة والميرون تُحسب كالقرابة الدمويَّة الى سابع وجه فحتم مجمعنا هذا الجليل ان تُحفظ هذه القرابة بتدقيق. ولاجل ذلك قد حتم آباء المجمع بقيام الاشابين من الاقرباء، وقد وضعوا تحت طائلة الحرم الوالدين الذين يعمّدون اولادهم وحلّهم محفوظ لرئيس الابرشيَّة الّا اذا وجد الطفل في خطر الموت ولا يوجد احد قطّ غيرهما وأمر ايضاً بان لا يصير نذر من الوالدين في ان يعمّدوا اولادهم في الاماكن البعيدة عن وطنهم بل في كنيسة المكان الذي ولدوا فيه وان لم توجد كنيسة في المكان ذاته

او بعدت عنهُ نصف ساعة فليُعمَّد في البيت وان الاطفال لا تبقى بلا عماد اكثر من ثمانية ايام واذا وجدت ضرورة فخمسة عشر يوماً واذا تجاوزت هذه المدَّة ان كانت من اهمال الكاهن فيقع تحت الرباط وان صار ممانعة من الوالدين فيسقطا تحت طائلة الحرم وحلّهم محفوظة ايضاً. ثم يجب على كل كاهن خادم رعية ان يمسك دفترًا يحرّر فيه اسماء الكهنة المعمّدين واسماء الاولاد المعمّدين ووالديهم واشابينهم بتكنيتهم ويؤرّخ السنة واليوم من الشهر الذي فيهِ اعتمدوا وحين يتفقد الاساقفة رعيّتهم فليطلبوا هذا الدفتر من الكهنة ويحرّروهُ في السجل المحفوظ في كلّ ابرشيَّة بخزانة كتابات الاساقفة. ثم انهُ برسم موجب قوانين الجامع المقدَّسة قد يمنع مجمعنا هذا الشريف الرهبان القانونيين من ان يكونوا اشابين لأقربائهم ولا لغيرهم ومن يتعدّى ذلك ان كان كاهناً فيسقط حالاً بالرباط وان كان راهباً بسيطاً فقصاصهُ يكون بالمنع الكلّي عن اقتبال الاسرار المقدَّسة وحلّهم محفوظ لاسقف الرعيَّة

اليوم الرابع . . . في السابع من تشرين الاوَّل . . .

الجلسة الخامسة مساء في سرّ التوبة

ان قدسهُ مع الآباء في هذه الجلسة ملاحظةً للخلل الممكن وقوعهُ في هذا السرّ المقدَّس قد تفاوضوا فيما يخص خطيئة الاغراء والحل الممنوح من الكاهن لشريكهِ في الخطيئة. فمن الاولى قالوا ان خطيئة الاغراء هي كل قولٍ وفعلٍ ولو كانت بحركاتٍ بعيدة او باشاراتٍ خارجة يُفهَم بهما كل امرٍ دنسٍ فاذ ذاك لاجل مداواة الفساد العظيم الصادر عن هذه الرذيلة في السرّ المقدَّس حدَّدوا اوَّلًا ان الكاهن المغري (لا سمح الله ان يوجد من هو هكذا) انهُ لاجل فعله هذا المنكر يُربط مؤبدًا عن الاعتراف. ثانياً يُمنع عن القدَّاس وباقي الاسرار مدَّةً محدودة تكفي حسب فطنة الاسقف عدا القوانين الاخرى المفروضة واللازمة لمداواة من هو كذا. وامَّا ما يخص المغرَى فيحتم هذا المجمع بان لا يجوز حلَّهُ في سرّ التوبة قبل ان يخبّر الاسقف وان لم يمكنهُ الوصول للاسقف او لاجل سببٍ آخر مقبول فالكاهن يقدر ان يتمم هذا الامر باذن المغرَى

٣ الذي من الكهنة يُسمع عنهُ قضايا مثل هذه او غيرها مشينة لا يجب ان يُحكم عليهُ بدون فحص كافٍ وشهاداتٍ صادقة حسب وصيَّة الرسول الالهي والقوانين

المقدَّسة ومَن يثبت عليهِ شيء مشتهر لا يجوز ان يُترَك قصاصهُ لئلا يزداد عارفو امرهِ شكًّا ويوجبوا اللائمة على الرؤساء.

٤ لا يجوز للكاهن ان يحل شريكهُ كليًّا حسب تحديد الجامع المقدَّسة والاحبار المعظَّمين.

فبعد انتهاء هذه المفاوضة والحتم رسم ايضًا آباء الجمع بعض اوامر ماتحقة بمن يباشر هذا السرّ فقالوا : اولًا : يقاصص الكاهن الذي يظهر ادنى اشارة الغيظ لذهاب تلميذه الى محلّ آخر ولو كان مانعهُ عن الحلّ او رابطهُ سواء كان لسببٍ سرّي او لسببٍ ظاهر الّا ان يكون مانع تلميذهُ عن الاعتراف لسبب حقّ كانسيّ او لوصيَّةٍ اطلقها عليهِ بامرٍ عادل وهو رئيسهُ او كاهنهُ الاعتيادي . ومن يثبت عليهِ شيء من هذا فليُقاصَص من اسقفه بالرباط عن درجتهِ . ثانيًا يحفظ الكهنة جميعًا التحديد الخاتم على انهُ لا يُقبل من يأتي طالبًا الاعتراف من احد الكهنة قبل ان يسأل عن سبب تركهِ معلّم اعترافهِ الاعتيادي لئلا يكون ساقط باحد الاسباب الموجبة مسك الحلّ او غيرها من القضايا الأخر ويزيد على خطاهِ نفاقًا واذا لم يروا لهُ سببًا يمنع فليقبل اعترافهُ بجبرٍ ابويّ . ثالثًا . . . فليلاحظ الكهنة جميعًا بهذه المحكمة السريَّة ما يجب الفحص عنهُ . كالسؤال عن تعتُّق الملكات الرديَّة في المعترفين وكباقي القضايا المضادَّة فضيلة العدل وغير ذلك . . . هكذا ان كان المعترفون عارفين اخصّ قواعد ايمانهم كقانون الايمان وباقي القواعد الدينيَّة التي اذا لم يكونوا عارفين بها حسب امكان فهمهم فلا يجوز حلّهم ومناولتهم الاسرار المقدَّسة

كل الاساقفة يجب عليهم ان يجعلوا لهم بعض محفوظات يخص سلطتهم حلّها لافادة رعاياهم وقلع الملكات الرديَّة منهم كالساقط في خطيئة الاغراء والمُغرَى الذي لا يخبر الاسقف والساحر صوريًّا والعاقد والساعي في ربط المتزوجين والساعي في اسقاط الجنين باي سبب كان والراجع من الارتقة الى الايمان والمختلس رسائل الجمع المقدَّس او السيّد البطريرك او اسقف الابرشيَّة والساقط بمانع الزيجة بعد اكتالها وقبلهُ وضارب الاكليريكيين . اخيرًا قد حتم مجمعنا هذا المقدَّس بان الكاهن الذي يفرض قانون قدَّاسات على المعترف لا يقدّسها هو بل فليأمرهُ ان يعطيها لغيرهِ

اليوم الرابع . . . في السابع من تشرين الاوَّل . . .

الجلسة السادسة باكرًا في سرّ القربان المقدس

انهُ لمَّا كان هذا السرّ اشرف واقدس من باقي الاسرار جميعها فلا ريب في ان الكهنة باجمعهم يلتزمون بان يبذلوا كل جهدهم لكي يكملوهُ بكل الاحترام والعبادة اللائقة والمتوجّبة نحوهُ ولذلك قد رأى مجمعنا هذا المقدّس بان يرسم تلك الاوامر الضروريَّة لإزالة كل خلل يمكن وقوعهُ في تكميل خدمة هذا السرّ الواجبة . . .

١ لا يبتدئ الكاهن في لبس البدلة ان لم يكن استعدّ الاستعداد الواجب تاليًا صلوة الباب حسب ما هي مرتّبة في القنداق وانهُ في لبسهِ البدلة لا يترك شيئًا من الاستيخونات المرتّبة لكل قطعة منها ومن ثمَّ يتمم الذبيحة باعداد الطلبات جميعها وان لا تكون الجوهرة ضخمة ولا رقيقة للغاية وكذلك الاجزاء تكون بطريقة الاعتدال وهذا النظام يجب حفظهُ مع المتناولين ايضًا . واما القربان المقدَّم للذبيحة الالهية فليكن خبز يومهِ وان تعسّر فليكن خبز يومين وعند الضرورة الكليَّة ليكن خبز ثلثة ايَّام وينبغي ان يكون نظيفًا ومختومًا ما عدا في الاماكن الغير ممكن ختمهُ لسبب الاضطهاد واما بخصوص الخمر فيلزم ان يكون جيدًا غير مخامره فساد البتَّة ولا يقدَّس من الخمر المعصور حالًا . بل اقلَّا يكون بعد ثمانية ايام من عصيرهِ . وذلك عن ضرورة شرعيَّة ويكون دائمًا خاليًا من العكر

٢ فليعتنِ الاساقفة بالتنبيه على الكهنة بنظافة الستورة وكتَّانات الهياكل ونظافة البدلات وليفتقد الاسقف رعيَّتهُ في كل سنةٍ ليصلح الخلل الذي يجدهُ واقعًا في الكنائس وينبّه الكهنة والوكلاء المتسلّمين مداخيل الكنائس على اصلاح الخلل الحادث فان استمرّوا متقاعدين عن ذلك فليطلق عليهم القصاص

٣ ما عدا الانديميسي الموجود على مائدة التقديس يجب ايضًا وضع انديميسي آخر على المذابح الصغار التي لإعداد المواهب ويكون مفروشًا تحت الكتَّانة لسبب رجوع الجسد الالهي ثانيةً

الجلسة الثانية مساء في السرّ ذاته

وهي الجلسة السابعة

١ ليعلم كلٌّ من الكهنة انهُ لا يجوز لـهُ على الاطلاق ان كان في الكنائس او خارجًا عنها ان يقدّس بدون انديميسي وان الهياكل لا يكون فرشها اقلّ من ثلثة

طوق نظيفة ويكون موضوعاً الصليب عليها وبعض الايقونات وشمعتان عسليّتان وشمعة واحدة للذبيحة ...

٢ يتحدَّد على الكهنة جميعاً في كل مكانٍ انهُ حيث تكون كنيسة مشاعة لا يجوز ان يقدّس في محلٍ آخر ولا في أيّة ضرورة كانت

٣ حيث لا تكون كنائس موجودة فلتكمل الذبيحة الالهيَّة في احسن الاماكن وأليقها . والكهنة الذين يخالفون هذا التحديد يُقاصصوا من الاسقف

فليُمنع تحت القصاصات من الاسقف من يتمم الذبيحة الالهيَّة في أيَّة آنيةٍ كانت دون الفضَّة والنحاس المطلي . وامَّا جوزة الكأس فيلزم ان يكون فضَّة مطليٌّ داخلها . وامَّا الصينيَّة حيث الضرورة فلا باس من ان تكون نحاس مطلي او فضَّة ساده وبحال الفقر الكلي لا باس من عدم طلي جوزة الكاس وينبغي الاسقف ان يلاحظ هذه كلها مع الاواني المكسورة والمثعورة ويمنع القدَّاس بها حتى تُصلح...

٥ يُحتم على الكهنة جميعاً ان لا يقدموا المواهب الَّا على المذبح الصغير المختص لإعداد الذبيحة حيثما يكن لكونهِ امر لازم وبرسم اشياء مقدَّسة . فمن ثمَّ لا يجوز تركهُ الَّا عن ضرورةٍ واجبة ثم انهُ لا يجوز ان تكون الستورة التي تضع عليها القرابين المقدَّسة ان كان في الهياكل والمذابح التي هي داخل الكنائس او كان خارجاً عنها من اغطية النساء . او من اشياء مستعملة لخدمةٍ عاليَّة ولا تدخل العامَّة للهيكل الَّا مكشوفي الرؤوس وبوقت الذكرات فقط ما عدا الخادم ولا يحضروا فيهِ قدَّاساً ولا صلوات . ثم يمنع مطلقاً دخول النساء والبنات للهياكل لاي سببٍ كان . هكذا يمنع الاعتراف بها عن غير ضرورة لازمة

اليوم الخامس في الثامن من تشرين الاوَّل في نهاية ما تبقى في مادَّة سرّ القربان المقدَّس

الجلسة الثامنة باكراً

انهُ في هذه الجلسة قد حدَّد آباء المجمع الرسوم الآتي ذكرها

١ انهُ لا يجوز للكاهن ان يقدّس خلواً من بخورٍ عدا في أيّام الاضطهاد ولضرورة واضحة ثقيلة فقط . ثانياً انهُ لا يصير الَّا قدَّاس واحد على كل هيكل وعند كثرة الكهنة يشتركوا مع بعضهم في القدَّاس الالهي . ثم لاجل الضرورات الفرديَّة

الممكن حدوثها فليحلّل الاساقفة في كل كنيسة مشتهرة هيكلًا واحدًا لتكرار القدّاس عليه في حين هذه الضرورة ومَن يتعدَّى هذا فليقاصص من الاسقف

٢ ان اقشين التقدمة لا يُقال الَّا مرَّة واحدة من كل كاهن. ثم انهُ لا يلتزم الكهنة المشتركون معًا بالقداس بقول الكرازات كلٌّ بمفرده بل يكفي أن يسمعوها من الافيديوس ولا يلتزمون الَّا في الاعلانات والافاشين فقط. والذين يشتركون في القداس الالهي يجب ان يكونوا سبقوا واتَّشحوا بالبدلات قبل الشروع بالقدَّاس

٣ فليُحتم على الكهنة تحت القصاص المفروض من الاساقفة ان يقدّسوا جميعهم بطقس واحد حسب القنداق المطبوع المشتهر بالحركات والتبخيرات وغيرها. ولا يمسح الفم او فم الكاس بالكاليات. وليمسك الجميع لحن الكنيسة الاعتيادي ولتترك كليًا باقي الالحان المستعملة بوزن الموسيقى العالمية والانغام المائنة وذلك ليس فقط في خدمة القدّاس الالهي بل في كل تراتيل الكنيسة وطلباتها. ولتعتن الاساقفة مع الرؤساء القانونيين في ابرشيتهم بحفظ هذا النظام وليُحتم على الكهنة جميعًا ان يبذلوا كل مجهودهم لتقديس هذا السرّ الالهي بكل احتشاد وورع وخوف بدون مسابقة واستعجال وتلهوج وان لا يفوتوا شيئًا في الذبيحة من وضع الطلبات وغيره وان لا يكون القداس اقلَّ من نصف ساعة من حين ابتداء الذبيحة الى انتهائها

ثم ايضًا يُحتم على الكهنة والشمامسة الذين لا يحسنون القراءة الروميَّة حسب الامكان بان لا يقولوا في القداس الاعلانات والسنابتيات والكلام الجوهري في الرومي اصلًا بل في العربي فقط واما بخصوص الزاون (ζέον) فلا يوضع الَّا في القداديس المشتهرة فقط ولا اذن للكهنة ان يختموا القداس قبل يتلمذوا الاسرار المقدَّسة الَّا اذا كان اناس عتيدين ضرورةً ان يعترفوا ويتناولوا وكل كاهن يتعدَّى هذا الحتم يسقط في الرباط بذات فعله وحين يتناول الكاهن السرّ الاقدس فليأخذ من السرّ الالهي الموضوع في الصينيَّة مرَّةً واحدة فقط حسب تعيين القنداق والاجزاء التي تبقى يتزلها باسفنجة في الكأس ويبطل منذ الآن تنزيل الاجزاء في الكأس بالاصابع مطلقًا بل بالاسفنجة. اخيرًا بعد تناول الكاهن الاسرار الالهية يمسح الانديمسي بالصينيَّة باهتمام كلّي. وفي اختتام القداس امَّا يرفعهُ او يضمهُ في جانب المائدة المقدَّسة ولا تطوى البدلات فوقهُ قطعًا ولا يضع على الموائد شيئًا كليًا من بدلات وقلاليس

وغيره ولا يسمح للكهنة بان يناولوا الاولاد القربان المقدس الّا ان يكونوا بلغوا من العمر سبع سنوات ويتناولوا في عيد الفصح فقط . واما بعد بلوغهم الثمان سنين فيُسمح لهم بالتناول المتداوم وهذا موقوف على فطنة معلمي الاعتراف واما الذين يفوت عليهم عيد الفصح بلا تناول الاسرار المقدسة فلينبّهوا اوّل وثاني وثالث مرّة من الكاهن وان كان بعد التنبيه لم يذعنوا ويتقدّموا لقبول الاسرار فليُعلم بهم الاسقف ليطاق عليهم القصاص ولذلك منذ احد الشعانين فلينبّه الرعاة جميعاً الشعب المسيحي بحفظ الوصيّة الكنائسيّة بالاعتراف والتناول في عيد الفصح وان التحديد المذكور هو من الشعانين الى احد توما ولكي لا يتوهط المسيحيون بالقصاص المفروض من الكنيسة فليُفسحوا مدّةً عن ضرورةٍ لاولئك الذين يتخلّفون مع التنبيه المتداوم والتفسيح المذكور يكون الى خميس الصعود وبالفسحة الى احد العنصرة . . .

اليوم السادس في ٩ من تشرين الأول

الجلسة التاسعة في سرّ مسحة المرضى

انهُ اذا كانت توجد اختلافات كثيرة في الرتبة المستعملة في خدمة سر المسحة المقدّس فلاجل رفع هذا الخلل قد حتم مجمعنا المقدس انهُ من الآن فصاعداً لا تستعمل كهنتنا الروميون في جميع الابرشيات في سرّ المسحة الّا الترتيب المسلّم من زمان السعيد الذكر البطريرك كيرلس المحرّر هنا ومنهُ نرسل نسخ الى كل مكان ويتمّ هذا السرّ بالاحترام الواجب وايقاد الشموع وباقي الاحتفال (لهُ تابع)

# قيمة الحياة

لحضرة الخوري الفاضل عمنوئيل فضل (تتمّة)

قال علماء الوضعيين انّ ضابط الانفعال وقاعدة الآداب هو خير اللفيف او الخير العام . امّا الخير العام فهو عبارة عن صحة الجمعيّة وحصولها على جميع وسائل المعاش والطمأنينة فينتج من ذلك انهُ متى وُجدت الجمعيّة في صحّتها الكاملة وتمتّعت بالأمنيّة ورتعت في الخصب والنعمة كانت هي اديبة واصبح اعضاؤها ادباء

ولكن مَن يسلِّم بهذا القــول او مَن لا يرى به خطأً جسيماً وحجّةً لكل لئيم لارتكاب افظع الآثام بدون أن يُقتصّ منهُ او يقع عليـهِ اقلّ لوم؟ ان مدناً باسرها وشعوباً شتّى قد توصّلوا الى هذا الخير المطلوب من الوضعيين وبلغـوا اقصى التمدّن المادي ولم يمنع ذلك آدابهم من ان تكون متراخية واخلاقهم مشحونة بالغشّ والفساد وحسبنا شاهداً سادوم وعامورة وضواحيها. فاي ربح لم تكتسبهُ سكّان هذه المدن واي رفاه وايّة افراح لم ينالوا؟ ومع ذلك ما أبعـد ما كانوا عن الآداب المستقيمة! والشعب الروماني ذاتهُ ما توغّل في الشرور والآثام وأطاع اميالهُ واهواءهُ الّا لمّا كثر الرزق بين يديهِ وامتدّت سطوتهُ وشـع صيتهُ ومجدهُ وسكنت الارض تحت نظرهِ. فكيف والحالة هذه يمكن ان يكون فائدةً للآداب امرٌ ليس من احـد شروط استحصالهِ اتقاؤها لا بل كان كل وقت حيث لم تكن ورسخ قدماً حيث وهنت

ولسنا نجهـل وجود افعال معاكسة لخير الجمعيّة اي صحّتها كالافعال التي ينجم عنها مثلاً تفشّي الوباء او سلب القوم راحةً وغير ذلك فهـذه الافعال شرّها ظاهر ونواميس الآداب الاجتماعيّة الوضعيّة تكفي لردعها ولكن كم من الافعال الرديئة التي لا تُحدث اقلّ ضرر في الخير العام فهل امتناع ضررها يا ترى يمحو قباحتها وسماجتها؟ اما قيل ان الإغواء امرٌ قبيح وفعل رديّ لانهُ يُوقع اضراراً بمن هم ضحاياه ولكن لنفترض انهم سلّموا بهِ ورضوا عنهُ حتّى ارتفع الضرر فهل يبطل ان يكون الاغـواء قبيحاً ورديّاً. واذا كانت الرذيلة في بعض الافراد دون أن يتوصّل اذاها الى الأمّة او تؤخر في شيء الخير العام ألا تعود تحسب رذيلة وهل لا يجب منعها واجتنابها؟ فحسب قول الوضعيين كما اوردناهُ سابقاً ليست الرذيلة حينئذٍ منافية للآداب العامّة ولكن ألا تنافي الآداب الشخصيّة؟ ولا يجهل الوضعيّون انّ من الآداب ما هي عموميّة ومنها ما هي خصوصيّة وان هذين النوعين هما على السواء ضروريّان ويجب القول بوجوبهما لانهُ لا يكفي المرء رفع الاذى فقط عن الهيئة الاجتماعيّة حتّى يُعدّ اديباً انما يلزمهُ ايضاً اقتناء الفضائل التي من شأنها ان تجمّل النفس وتجلّلها بلباسها البهي. ولقد اذعن بعض علماء الوضعيين الى هذا الحكم. فيقول تندال انهُ «لا يزال يعتبر كل ما هو شريف وعالٍ في اعتقادات صباه». وجورج اليو «لا ينفكّ يحترم ويحبّ جمال القداسة ويكره ويمقت الاثم». فوالحالة هذه ان كانت الآداب الشخصيّة واجبـة فكيف يلزمنا ان نحافظ

عليها وكيف يمكننا ان نجتنب شر ما يعاكسها من الرذائل التي لا تضر بالانفس ولكنها تضر بالفرد وبآدابه . أيقولنا انهـا تجرّ مرتكبيها الى الامراض والاسقام ؟ فان صح وقوع هذه الخشية في القاوب فيكون الفضل لهذه الخشية في التنكب عن الرذيلة وليس للخير العام . غير ان هذه الخافة لا توثر دائمًا لانهُ سهل محاشاة كل سقم بالدراية والفطنة فيتوقى بعد ذلك الفاسد الأخلاق ان يبقى فاسدًا . فاذًا ليس لخير الجمعية على كل انواعـه اقل تأثير على الفرد وبالتالي لا يصلح ان يكون قاعدة للآداب الفردية اذ لا يردع فسادًا ولا يمنع شرًا والجمعية لا تكون ادبية الّا متى كانت افرادها ادباء عاقدين الخناصر على التعاضد والتعاون والتكاتف في الشغل والعمل حفظًا لخير الجمعية وترقية للانسانية

وما قيل عن التعاطف الطبيعي والنسب اليـهِ قوة تدفعنا لمحبَّة الغير وتضع في نفوسنا الرغبة لإسعافهِ واسعادهِ حتى إيثار مصلحته على مصلحتنا وحظِّهِ على حظِّنا فهذا لا خلاف فيهِ غير اننا نرى الوضعيين قد بالغوا في هذا الميل وغالوا في قوَّتهِ ونسبوا اليهِ مقدرةً ليست بـهِ . نعم يوجد فينا التعاطف الطبيعي وعلى ذلك امثلة كثيرة تشهد لاصحابها بالشهامة لكنهُ يوجد ايضًا فينا حبّ الذات او الانانية وهو بالانسان امكن وامتن مما سواه . امَّا التعاطف الطبيعي المؤدي بنـا الى حبّ الغير وخدمتهِ فيجب الّا يستتب لنا انزعاجًا كبيرًا او يؤول بنا الى غاية شريفة تناقض الغاية التي يعرضها علينا الوضعيون وهي متوقفة على اكل وشرب وراحة وهذا هو خيرهم الاكبر. لا وأيم الحق ما هذه الغاية بجديرة ان تدب فينا روح الحميَّة والحماسة

اذن تلك الطاعة للشرائع والنواميس الآمرة بخدمة الصالح العام لمجرَّد الصالح العام هي غير ممكنة ولا يستطيع هذا الصالح ان يبعث الانسان على تحسين سيرتهِ وحفظ آدابهِ . لانَّ تلك السماء التي وعدنا بها الوضعيون لا تستحق كل هذا الاهتمام

الفضيلة لمجرَّد الفضيلة

شعر البعض من الوضعيين بضعف نواميسهم الاجتماعيَّة وعجزها عن تحديد ضابط للآداب ولذلك لجأوا الى غير امر طلبًا لسدّ هذا الخلـل فلحظوا انَّ من الناس مَن خدموا الصدق والاستقامة بنيَّة مجرَّدة وكانوا امثال العفاف والطهر غير طامعين بمكافأة او ثواب فظنُّوا بعد ذلك انهم وجدوا ضالَّتهم المنشودة وقالوا فيما بينهم : لِما لا تكون

الفضيلة غاية اعمالنا ؟ أمَّا في نفس الفضيلة ما هو كافٍ وحدهُ لحبها وإيثارها ولا لذَّة اعظم من التي في الفضيلة ومن الفضيلة فهي البهاء والعزاء والحسن بالذات تُفرح قلب محبها وتُجلببهُ بلباس الكمال وتحلُّهُ بارض السلام . فلتكن الفضيلة سعادتنا ونحن الغائصون . هذا ما زعموا .

لا ننكر ان البعض من الناس خدموا الفضيلة من دون غرض من الاغراض ولكنهم لم يعملوا ما عملوهُ بدافع طبيعتهم البشريَّة كما فهمها الوضعيون اي مجرَّدين عن الغاية التي قصدها الله في ابداعهِ وخلقهِ لنا . فنحن نعتقد انهُ ان كان للانسان عواطف نبيلة وشعائر سامية تؤمّ بهِ الى العلويَّات وتنكّبهُ عن السفليَّات تريهِ البطل بطلًا والحق حقًّا بغنًى عن الشرائع الدينيَّة والنواميس المدنيَّة فما ذاك الَّا لانَّ الله فرض لنا غايةً من عندهِ ورقم على الواح قلوبنا ناموسًا طبيعيًّا يجب علينا اتباعهُ ثم منَّ علينا بالوحي على يد انبيائهِ واصفيائهِ اخيرًا اعطانا التعاليم المسيحيَّة التي جدَّدت الانسان واولدتهُ ميلادًا ثانيًا

وعليهِ ما احرانا ان ننسب للناموس الطبيعي وللعامل الدين تجرُّدنا في خدمة الفضيلة وانتصارها للحقيقة وعلى هذه الاصول مبنيّ تهذيب الاخلاق وحبّ القريب والتاريخ شاهدٌ على ذلك لا يكذب فليطالعهُ من يريد . ولعمري ان الحياة قد انصبغت بالدين وهذه الصبغة مهما عمل الوضعيُّون او غيرهم لا تمّحي بل يبقى اثرها ثابتًا ولذلك وان خال للبعض انهم فيما يعملون من الافعال الحسنة لم يكونوا مندفعين من الدين والناموس الطبيعي فهؤلاء لو دقَّقوا وسبروا اصل هذه الاحساسات الشريفة لعلموا ان الدين هو الذي حدا بهم الى ما حدا . لأنَّ لا شيء في الحياة الَّا وقد امتزج بالدين فهو قد جرى في عروقنا ومشاربنا وافكارنا مجرى الدم والحياة حتَّى اذا شئنا ان نذكر شاهدًا على ما لا اثر للدين فيهِ لا نتمكَّن

فوالحالة هذه نقدر ان نقول انَّهُ من المحال وجود كثرة حقيقيتين طالما كل شيء. واحساسات البشريَّة واعمالها قد انجبلت بالدين

ولزيادة الاقتاع فلنأخذ مثلًا الغاية الادبيَّة ولنُجرِ عليها الفحص المدقّق ولننظر بعد ان نجرّدها من كل ما تستمدُّهُ من الدين اذا كان اعتبار واتباع الفضيلة ممكنًا . اعلم انَّ للغاية الادبيَّة ثلاثة شروط او ثلاث خاصَّات فشرط او خاصَّة تتعلَّق بالفاعل

وشرطان او خاصّتان تتعلّقان بالغاية وهي ارادة الانسان واطلاق الشريعة وخطارة العقبى فبارادة الانسان نفهم صفة النفس الباطنيّة التي بها المرء ينوي ويريد العمل وهنا يجب التنبيه ان ادبيّة الفعل تتوقّف على مجرّد الارادة على العمل الخارجي حتّى اذا رمتُ شيئاً ولم اتوفّق اليهِ لان مانعاً من الموانع حال دون مرامي فلا يخسر فعلي من ادبيّتهِ شيئاً . قال المتنبي:

وإطراقُ طرفِ العين ليس بنافعٍ    اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطرقِ

وباطلاق الشريعة نفهم عموميّتها بحيث يستحيل علينا الافتكار بوجود شريعة اخرى مخالفة ومناقضة لها فان وُجد على فرض من يهزأ بهذه الشريعة ويستخف باوامرها يجب ان نعتقد بهِ الكفر والضلال

وبخطارة العاقبة نفهم اخيراً ما يترتّب على افعالنا وافكارنا بالنظر الى الشريعة والواجب من عظيم الثواب وشديد العقاب

فاذا نقص شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة تزعزعت اركان الآداب ولا يعود من ثمَّ هناك حق لاي مشترع كان بان يأمر بحسن السلوك ويتبه ويرشد الى الاستقامة كما ولا انّهُ يُحدّث احداً بمسئوليّة افعالهِ . اذن من يعتقد ويسلّم بلزوم الآداب يجب عليهِ ان يسلّم بهذه الامور الثلاثة ويقرّ بها في الغاية الادبيّة لانهُ يقرّ بوجود الله وبخلود النفس . فالله شريعتهُ والله نصيبهُ والله ديّانهُ . وبما ان الله لا يطيق النظر الى شبه ظلّ الاثم ويفحص اعماق القلوب والكلى فانهُ يتجنّب كل مخالفة للنظام فكريّة كانت او فعليّة ويسير على نقاوة ضميرهِ ويجهد النفس في تقويم سُبلهِ لئلا يُحرَم غايتهُ اي امتلاك الله

فلننظر الآن اذا كان الفعل الادبي ممكناً عند الوضعيين . انهم يدّعون فهم الفعل الادبي كما نفهمهُ ويقرّون بشروط الغاية الادبيّة الثلاثة التي اوردناها وكما اوردناها ولكن هل مبادئهم تخوّلهم هذا المدّعى ؟ فنحن قد استندنا على حقيقة خلود النفس وعلى وجود الله واثبتنا خطارة عقبى افعالنا وافكارنا ونادينا باطلاق الشريعة . امّا هم فينكرون هذه الحقائق فاصبحت الاعمال البشريّة منحبسة ضمن حدود الزمان والمكان ولا علاقة لها مع تلك القوّة غير المتناهية الدافعة الكون الى مجراه . ولمّا تحضر منيّة المرء فكلّما يقدر عليهِ الوضعيون هو احياء ذكرهِ في خَلَدهم ولكن اذا مات معاصرو هذا الرجل او انقرضت البشريّة فانهُ يتلاشى واعمالهُ وذكرهُ تلاشياً تامّاً فالاضمحلال كامل

فكأنَّ البشريَّة لم توجد. ولم تكن مهما كان المجد الذي ادركهُ والقباحات التي قد ارتكبها . الفضائل والرذائل الملذات والاوجاع كل ذلك لا يبقى لهُ اقلّ اثر فقد بادت كما يبيد الصوت في خلاء صحراء بعيدة المفاوز . فان كانت هذه الحالة حالتنا ظهر جليًا انهُ ليس للعمل الادبي اهميَّة عظيمة

ولربَّ وضعيّ يقول : ما يثنيني عن التزام خطَّة الآداب وان يكن تمتعي باللذة وجيزًا فهل يا ترى قصر مدَّة السعادة هو مانع للذَّة لا بل لي بذلك حجَّة اقوى التنعُّم بهذا الفردوس قبل انقراضه

نعمّ القول ولكنَّنا نسأل كل وضعيّ ان يجيبنا اذا كان الناس قاطبةً يسلّمون بكون السعادة تقوم بالعمل بموجب الخطَّة التي يشاؤونها ويحبّ الشرائع الخلقيَّة التي يرونها ؟ كلَّا ما الكل مُجمعون على ذلك . ثم وبما انهُ لا اتفاقًا عموميًا على هذه النواميس نسأل ثانيةً أيَّة واسطة ممكن على الوضعيين اتخاذها لاثبات مدَّعاهم واقناع المرتابين على اعتناق مذهبهم . فلأفترض اني وضعت سعادتي ولذَّتي في الصدق وغيري وضع سعادتهُ في الاحتيال وكلانا من الوضعيين فاسأل عمَّا اعمله لابرهن لصاحبي عن افضليَّة حالي على حاله وكيف ابيّن لهُ غلطهُ واظهر هداي ؟ فلا ارى لعمري طريقةً لذلك اذ كلانا ملتذ ولذَّتنا متساوية . ولكن لو كنتُ معتقدًا بالله اقول لنفسي ان افراح صديقي تتحوَّل يومًا ما الى احزان وسروره الى يأس . وطالما لا حياة الَّا الدنيا فلا اقدر اقول شيئًا سوى ان صاحبي اختار الخط الذي يوافقهُ وانهُ ما زال حيا لا احد يستطيع على سلبهِ منهُ . فعلى هذه الصفة قد انقطعت سنَّة الآداب ان تكون مطلقة لانها تمرَّت ممَّا كان يقررها ويثبتها وامَّا شرائع فئة من الناس لكونهم فقط من الناس فلا تسلَّط لها عليَّ

فقد اتَّضح الآن ضعف مزاعم الوضعيين وبعد مبادئهم عن استطاعة تشييد الآداب على اساس آخر غير الدين وبالتالي عن اثبات قيمة الحياة وقداستها وخطرها طالما لا يدينون بالله ولا يعتقدون بالآخرة . ولو كانت حقيقة وجود الله نظريَّة فقط لامكن الكثيرين ان يضربوا عليها صفحًا لكنَّ هذا الوجود الشريف هو ايضًا حقيقة لازمة يحتاج اليها النظام الادبي فبدونها لا ركن للآداب ولا ضابط ولا التزام ولا خير ولا شرّ ولا حق ولا واجب . والحال ان البشريَّة تستدعي الآداب ولا غنى لها عنها

وان الرب قابض على ناصية البشر حتى اذا كفروا بـه وبنعمته لا يكفرون بدون ان ينالوا جزاء كفرانهم آجلاً او عاجلاً

# عبدالله بن الفضل الانطاكي

نبذة للابوين قسطنطين باشا ب. م. ولويس شيخو اليسوعيّ

٢ آثار عبدالله بن الفضل (تتمّة)

﴿ تآليفهُ ﴾ نسرد في هذا القسم اسماء الكتب التي صنَّفها عبدالله بن الفضل بتمامها واخرجها الى كمالها ولم يعتمد في وضعها الّا على معارفهِ الخاصّة والتآليف المسيحيّة العموميّة فجارى بها قدماء النصارى واستحقَّ بان يُنظم اسمهُ في سلك المصنّفين الكنسيين

١ (كتاب بهجة المؤمن) نفتتح جدول تآليف الشمّاس ابن الفضل الانطاكي بهذا الكتاب الذي هو من اطيب آثار النصارى الملكيين. ومنهُ الى اليوم عدَّة نسخ صالحة متقنة منها نسخة في المكتبة الواتيكانيَّة تحت العدد ٦٩١ صفحاتها ٢٥١. ومنها نسخة ثانية في مكتبة الدار الاسقفيَّة في حلب. ونسخة ثالثة في المكتبة البُدْلِيَّة المنوطة بكليَّة اكسفرد (Bibl. Bodl. *Nicoll*, No. XXII) تاريخ وضعها سنة ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) نسخها ثلجة الكاتب اخو المطران ملاتيوس مطران حلب سنة ١٠٣٢ للهجرة (١٦٢٢م). وهذا الكتاب تأليف لاهوتي واسع في اربعة اقسام ضمَّنها مسائل شرعيَّة وموضوعات فلسفيَّة. ولكل قسم فصول عديدة فالقسم الاوَّل يحتوي مئة مسألة. اولها ما الدليل على انَّ للعالم مبدعاً. والمسألة الثانية: هل ايجاد الباري تعالى لخلائقهِ اختياراً ام اضطراراً. والقسم الثاني ايضاً فيهِ مئة مسألة للقديس كاساريوس (Césaire) اخي القديس غريغوريوس اللاهوتيّ وهذه المسائل موجودة في اللغة اليونانيَّة مع بعض اختلاف (اطلب مجموع مين Migne, PP.GG.XXXVIII, 851-966) وهي سؤالات روحانيّة نافعة للنفس. ويلي هذا القسم قسم ثالث ذو مئة مسألة اخرى كتابيّة اولها: ما معنى لفظة انجيل ولماذا سُمّي كتاب مولد يسوع المسيح انجيلاً. والثانية على مَ يدلُّ الانجيل الخ. والقسم الرابع من هذا الكتاب يتضمَّن ٦٥ مسألةً في امور دينيَّة وخصوصاً في حلّ مشاكل انجيليّة

٢ (كتاب الروضة) هذا احد الكتب التي سبق وصفها في المشرق (٨: ٧١٤) وهو الخامس والثمانون من مخطوطات المكتبة الشرقيّة. وهو تأليف يُقرأ في صدره ما يلي «كتاب الروضة عُني في تأليفه ونقله واستخراجه من اللغة اليونانية الى اللغة العربيّة الشماس عبدالله الاجل ابن الفضل بن عبدالله المطران الانطاكي ابو الفتح ... وجرى في استخراجه مجرى من تقدَّمهُ من النقلة في استعمال الزيادة والحذف والتقديم والتأخير» ويتضمَّن واحدًا وتسعين بابًا كلها حكم وآداب نقلها بتصرُّف من اقوال الانجيل وكتب الانبياء والآباء القديسين وفلاسفة اليونان. ومن هذا الكتاب عدَّة نسخ في مكاتب الشرق والغرب نخصُّ منها بالذكر مكتبة دير المخلّص ومكتبة مدرسة الشرفة ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة. وبعض هذه النسخ قديمة العهد. فانَّ احدى نسختي المكتبة الشرقيَّة منسوخة عن اصل تاريخهُ سنة ١٢٨١ للتجسُّد (اطلب العدد ٨٦)

٣ (كتاب المنفعة الصغير) هو تأليف صغير لا يتجاوز عشر صفحات وجملةُ مؤلَّفهُ ابن الفضل اربعة عشر بابًا ضمَّنها مختصر العقائد النصرانيَّة في اسمهِ تعالى وجوهرهِ ووحدة طبيعتهِ وتثليث اقانيمهِ ومنهُ في المكتبة الشرقيَّة في الحماء شتَّى نسخ حسنة (اطلب وصف العددين ٨٢ و ٨٣ من مخطوطات كليَّة القديس يوسف)

٤ (كتاب المنفعة الكبير) هو تأليف دينيّ واسع جامع لشتات العلوم والفنون كالمنطق واللاهوت والفلسفة والفقه والجدل وجوهر النفس وحواسها والفلك وعلوم اللغة وآدابها. وهو في ٧٥ بابًا يشهد بغزارة موادهِ وحسن مشتملاتهِ على طول باع كاتبهِ في العلوم الطبيعيَّة فضلًا عن معارفهِ الدينيَّة. والكتاب فصيح العبارة يدلُّ على تصرُّف كاتبهِ بفنون الانشاء العربيّ. وفي المكتبة الشرقيَّة البيروتيَّة منهُ نسخة قديمة تاريخها سنة ٧١٧١ لآدم (١٦٦٣ للتجسُّد) ونسخة احدث عهدًا نُقلت عن نسخة قديمة (اطلب العددين ٨٢ و ٨٣ من مخطوطات الخزانة الشرقيَّة في كليَّة القديس يوسف)

٥ (شرح الامانة المستقيمة) هذا الكتاب صنَّفهُ ابن الفضل الانطاكي ليثبت فيهِ الامانة الارثذكسيَّة ويزيّف تعاليم اليعاقبة والنساطرة في اقنوم المسيح الالهيّ وطبيعتيهِ وفي مقدَّمة الكتاب يذكر انَّهُ وضع هذا التأليف ليجيب الى ملتمس يوحنا مطران منبج ودلوك. وانَّهُ الَّفهُ اوَّلًا باليونانيَّة ثمَّ ترجمهُ الى العربيَّة وجملهُ سبعة تعاليم ضمَّنها خلاصة الايمان الكاثوليكيّ في الحقّ سبحانهُ وتعالى وفي تجسُّد ابن الله. ومن

هذا التأليف نسختان في المكتبة الشرقيّة الواحدة قديمة والاخرى حديثة (اطلب العددين ٨٢ و ٨٤ من مخطوطات المكتبة الشرقيّة)

٦ (مقالة تشتمل على معاني نافعة للنفس) هذه المقالة تتضمّن «اجوبة» عن امور يكثر الناس من السؤال عنها والمعارضة في معناها استخرجها من اقوال الآباء القديسين والفلاسفة الفضّلين والّفها عبدالله بن الفضل الكاتب» ومدارها خصوصاً على انّ الانسان غير مدفوع للعمل وانهُ حرّ في افعالهِ فيستحقّ عنها الثواب والعقاب. وفي هذا التأليف عدّة فصول تجدها متفرّقة في مخطوطات منفردة كردّ ابن الفضل على المنجمين (Paris, *Fonds arabe*, No. LXXXII, 6°) وكمقالتهِ في ان الباري تعالى ليس هو بعلّة الشرّ ومقالتهِ في السبب الداعي الى اختلاف الناس في قصر العمر وطولهِ الخ.

٧ (السؤالات المختصرة والاجوبة عنها) هذه السؤالات تبلغ الخمسين عداً مدارها على بعض المشاكل الواردة في الانجيل المقدّس مع جواب عبدالله بن الفضل عليها. وكل سؤال يبتدئ بقوله «ان قال قائل» مع ذكر المشكل يليهِ الجواب بقولهِ «فنجيبهُ» او «نقول» ومن هذه السؤالات نسختان في المكتبة الشرقيّة في المجموعين السابق ذكرهما. تاريخ اقدمهما سنة ٧١٧١ للعالم (١٦٦٣م) بيد «الخوري يوحنّا بن رزق الله بن الذئب»

٨ (كتاب المصابيح) هو كتاب دينيّ ادبيّ ذو فصول متعدّدة في ابحاث متفرّقة لم نعلم من امرهِ الّا ما تفضّل غبطة السيد غريغوريوس بطريرك الروم الارثذكس فافادنا عنهُ في دمشق آخراً. قال انّ لديهِ منهُ نسخة غير كاملة وانهُ تأليف معتبر

*

﴿ترجمتهُ للاسفار المقدّسة﴾ لا شكّ في انّ عبدالله بن الفضل تولّى تعريب الاسفار المقدّسة من اليونانيّة. ولا نزيد بذلك انهُ اوّل من عرّب الكتب الالهيّة وقد سبقهُ كثيرون ممّن نقلوا الى العربيّة اسفار العهد القديم او العهد الجديد بينهم يهود كسعديا ونصارى لاسيّما بين السريان والكلدان كابي الفرج بن الطيّب تشهد على ذلك نسخ مخطوطة باقية حتّى اليوم في المعاهد الكتابيّة الكبرى كرومية وباريس ولندن.

ولعلَّ ابن الفضـل اوَّل الملكيين الذين اهتدوا بذلك واحتذوه ، ولنا على تعريبه شواهد تقليديَّة يتناقلهـا كتبة الروم الملكيين منهم البطريرك الانطاكي الشهير مكاريوس الحلبي قال في مقدَّمة تاريخه من عهـد آدم الى أيام قسطنطين ( اطلب الصفحة ١٥٠ من كتائب خزائن الكتب للاديب المدقق حبيب افندي زيَّات ) ما حرفهُ :

« فلمَّا نظر الله صبر النصارى رحمهم وأرسل لهم رجل فاضل يدعى الشمّاس عبدالله ابن فضل مطران ( كذا ) الانطاكي وكان عالمًا جدًّا بلغة العربيَّة واليونانيَّة والسريانيَّة فأخرج المسيحيين سائر الكتب العتيقة والجديدة المقدَّسة مع سائر تفاسيرها للغة العربيَّة وامرهم بقراءتها في سائر البيوت والآحاد والاعياد السيديَّة واخبار القديسين وافنى كل عمره في هذه الاعمال الصالحة وابقى لنا القوانين باليونانيَّة والسريانيَّة لانها الاصل ولكي لا نترك هذه اللغات المقدَّسة التي نطقوا بها اباؤنا القديسين »

وممَّا يؤيد هذه الشهادة انَّ عدَّة نسخ مخطوطة من الاسفار المقدَّسـة كالاناجيل والرسائل والنبوات والمزامير تذكر صريحًا في اولها ان معرّبها هو عبدالله بن الفضـل الانطاكي . ومن هذه النُّسخ ما هو قديم العهد كمزامير داود ( Cod. Vat. ar. 145 ) الذي منهُ بالمكتبة الواتيكانيَّة نسخة مصوَّرة بمقدَّمة جليلة في بيان شرف هذا السفر الجليل ومؤلفه وتقسيمه وهذه المقدَّمة موجودة بحرفها في كتاب النفعة الصون في مكتبة دير المخلص . ومنهُ نسخ أُخرى في مكتبة اللورنتيَّة وفي عدَّة مكاتب . وقد طُبع مرارًا بعد طبعته الاولى في حلب سنة ١٧٠٦ . وهناك طُبع سنة ١٧٠٨ كتاب النبوات الكنسيَّة عن ترجمة عبدالله بن الفضل . وكذلك تعريبهُ للاناجيـل المقدَّسة طُبع في الشهباء في السنة عينها وهو مقسَّم فصولًا على مدار أيام السنة واعيادهـا على حسب الطقس اليوناني . ويضاف الى فصوله تفاسير من قلم المعرّب . ومن هذا الكتاب المدعو « بالمصباح الزاهر والانجيل الطاهر » عدَّة نسخ مخطوطة سبق وصف بعضها في المشرق وقد كُرّر طبعهُ دون التفاسير الملحقة بـه في المطبعة الشويريَّة . وكذلك طُبعت من تعريب ابن الفضل الرسائل البولسيَّة المستعملة في الكنيسة اليونانيَّة . وكان طبعها اوَّلًا في حلب سنة ١٧٠٦ . ومنها في مكتبة دير سيِّدة البلمند نسخة قديمة العهد مع تفاسير اكثرها من اقوال يوحنا فم الذهب

هذه اقسام من الكتب الالهيَّة لا شكَّ أنَّها لابن الفضل الانطاكي أمَّا مجموع كامل من الاسفار المقدَّسة يعزى له تامًا فانَّنا لم نعثر عليه صريحًا وانَّنا نرجحه ترجيحًا . وذلك

انَّ في مكتبة سيِّدة البلمند نسخة من الكتاب المقدَّس مخطوطة قديمة العهد كُتبت في القرن الثالث عشر في دمشق نقلًا عن نسخة كُتبت في انطاكية في القرن الحادي عشر كما يؤخذ في بعض الحواشي التي علَّقها عليها ناسخها. ويظهر بالمقابلة ان سفر المزامير لا يختلف في شيء عن النسخة الشائعة في الكنيسة الملكيَّة المنسوبة لابن الفضل. فيجوز القول انَّ هذه النسخة المخطوطة هي كلها من نقله واملِ نسخة التوراة التي في مكتبة بيروت الشرقية التي وصفها المشرق (٧: ٣٣-٣٧) هي من تعريبه والله اعلم

*

﴿ تعريبات عبدالله بن الفضل لاعمال الآباء ﴾ انَّ التآليف التي تولَّى تعريبها عبدالله بن الفضل من اعمال الآباء لعديدة تدلّ على علم وافر باللغتين اليونانيَّة والسريانيَّة اللتين نقل عنهما كما افاد البطريرك مكاريوس وباللغة العربيَّة التي نقل اليها ولو لم يكن لهُ من الفضل غير هذه التعريبات لنال بذلك شكر الطوائف النصرانيَّة. ولا نعلم انَّ غيرهُ بلغ في ذلك مبلغهُ. ومن ثمَّ يحقّ لهُ اسم الترجمان الذي خصَّهُ به بعض الكتبة. وهذه اسماء التآليف التي عرَّبها ابن الفضل نقلًا عن قوائم المخطوطات التي وقفنا عليها.



١ (اعمال القديس يوحنَّا فم الذهب) قد عرَّب منها ابن الفضل كتبًا شتَّى منها (اوَّلًا) تفسير الذهبيّ الفم للسفر الاوَّل من التوراة وجملة ذلك ٦٧ مقالة مع ٦٧ عظة. منهُ نسخةٌ قديمة في مكتبة القبر المقدَّس الروم الارثذكس في القدس الشريف تجد وصفها تحت العدد ٣٥ من قائمة تلك المكتبة. وتاريخ هذه النسخة سنة ٦٧٣٥ للعالم (١٢٢٧م) كُتبت في دير القديس مرقص بظاهر الاسكندريَّة وكذلك نسخة اخرى في دير سيدة البلمند تاريخها ١٦٤١ م ونسخة في دير المخلص. و (ثانيًا) تفسير انجيل القديس متَّى البشير. وهو من اجلّ وافضل اعمال يوحنَّا فم الذهب. تنيف صفحاتهُ على ١٥٠٠ صفحة كبيرة. فعرَّبهُ ابن الفضل في مجلدين. ومنهُ نسخ عديدة. منها نسخة كاملة في مكتبة مار يعقوب للسريان اليعاقبة في القدس الشريف كُتبت سنة ١٦٣٩ م. وفي المكتبة الشرقيَّة منهُ نسختان (اطلب العددين ١٦ و ١٧ من مخطوطات المكتبة الشرقيَّة). و (ثالثًا) تفسير انجيل القديس يوحنا. منهُ ايضًا عدَّة نسخ في مكتبة مار يعقوب المذكورة وفي مكتبة البلمند وفي المكتبة الشرقيَّة في

بيروت · وهو يشتمل على ثمان وثمانين مقالة وثمان وثمانين موعظة · وقد طُبع قسم من هذا الكتاب (نحو ثلثهِ) اوَّلًا في مطبعة القديس يوحنَّا الصابغ في الشوير سنة ١٨٣٦ بنفقة الشمَّاس غبريل المدعو غبروس التبطي الذي من الصعيد من بلدة ابوتيج من رويس · ثمَّ طُبع بتمامهِ سنة ١٨٦٣ في ثلثة مجلَّدات · فالجلد الاوَّل (ص١٥٨) طُبع في المطبعة العموميَّة ليوسف الشلفون في بيروت بحرف دقيق · اما المجلدان الثاني والثالث فطَبعهما بالحرف الاميركاني الكبير في دمشق يوحنَّا الدوماني عدد صفحاتهما ٤٦٦ ·

(رابعًا) شرح رسالة القديس بولس الى العبرانيين للقديس يوحنَّا فم الذهب تعريب ابن الفضل الانطاكي · منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وهو كتاب ضخم يحتوي نحو ٧٠٠ صفحة تاريخهُ من القرن السادس عشر ومنهُ نسخة ايضًا في مدرسة الثلثة اقمار في بيروت ونسخة ثالثة قديمة في باريس (Fonds arabe, n° 96) تاريخها سنة ٦٧٣٦ للعالم ١٢٢٩ للمسيح بخط صفرونيوس اسقف الصعيد الملكي

٢ (اعمال القديس باسيليوس) قد عرَّب منها عبدالله بن الفضل كتابهُ المسمَّى تفسير ستَّة أيام الخليقة · وهذا الكتاب مرَّ وصفهُ في جملة مخطوطات كلية القديس يوسف · وهو الاربعون في العدد بينها · ولم يكتفِ عبدالله بن الفضل بترجمته الى العربيَّة بل اضاف اليهِ عدَّة تفاسير في آخر كلّ فصل تنبئ بسعة معارفهِ لشتات العلوم كالطبيعيَّات والمظاهر الجويَّة وغيرها

٣ (اعمال القديس غريغوريوس اسقف نيصص) هو اخو القديس باسيليوس تجد لهُ كتابًا معرَّبًا في آخر كتاب تفسير ستَّة أيام الخليقة يُدعى كتاب خلقة الانسان وشرف معانيهِ · ولمَّا كان تعريبهُ كتعريب الكتاب الاوَّل وملحقًا بهِ فلا شكَّ انَّ معرّب الكتابين هو عبدالله بن الفضل المذكور في صدر الكتاب الاوَّل

٤ (اعمال القديس اسحاق النينوي) قد عرَّب عبدالله بن الفضل كتاب نسكيَّات مار اسحاق الناسك المعروف بالنينوي · وهو كتاب في ٣٥ بابًا يشتمل على معانٍ روحيَّة تلائم السيرة الرهبانية ترجمهُ ابن الفضل من اللغة اليونانيَّة الى العربيَّة · واصلهُ في السريانيَّة · ومنهُ نسخ شتَّى منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (تحت العدد ٣٦٦) ونسخة في مكتبة القبر المقدَّس في مجموع العدد ٢٤

٥ (اعمال القديس مكسيموس) قد نقل عبدالله بن الفضل الى العربيَّة

المناظرة الشهيرة التي جرت بين القديس مكسيموس الراهب وبين بِرُس بطريرك القسطنطينية بخصوص الايمان المقدّس وخصوصاً بخصوص المشيئتين في المسيح . ونسخةٌ من هذا التعريب في مكتبة كليّة القديس يوسف في احدى مخطوطاتها المصونة تحت العدد ٢٨ ( اطلب مجلّة المشرق ٧ : ٣٣١ و١٠٧١ )

٧ ( اعمال القديس صوفرونيوس ) للقديس صوفرونيوس بطريرك اورشليم كتابٌ مفقود باليونانيّة قد ابقاهُ لنا عبدالله بن الفضل ومنهُ في مكتبة كليّة القديس يوسف نسختان يقرأ اسمهُ في اوّله

« كتاب البرهان في تثبيت الايمان لابينا القديس صفرونيوس المكنّى بفم المسيح ارسلهُ الى رومية في امانة الجامع الستّة المقدّسة وانما ذكر ستة مجامع لانهُ انتقل من هذا العالم قبل ان يصير المجمع السابع ترجمهُ من اللغة اليونانيّة الى اللغة العربيّة الشمّاس عبدالله بن الفضل »

وهذا الكتاب في ٢٧ باباً يتضمّن خلاصة التعاليم اللاهوتيّة والمجامع المقدّسة في الحقّ سبحانهُ وتعالى وفي الاقانيم الثلثة وفي التجسّد الالهي مع تفنيد الماكسين

٨ ( اعمال بعض الآباء السوريين ) يُقرأ في صدر الكتاب العربي الموصوف في مكتبة القبر المقدس تحت العدد ٢٤ : « كتاب للآباء انطونيوس وارسينيوس واسحاق وفيلوكسينوس وغيرهم » وهذا الكتاب عدّة اوراقه ٣١٤ يقال في اوّله « انهُ نُقل بقلم المتوحد يواكيم الذي من اللدّ يسمى المتوحّد مخائيل سنة ٧٠٧٥ للخليقة (١٥٦٥م) فيواكيم الذي نسخهُ يقول في آخره انهُ مختصر من كتاب سرياني . لكنهُ يُستنتج من المقدّمة انّ مُترجمهُ كان الشمّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي » والكتاب في ٧٩ باباً او ميمراً لآباء ورهبان متعددين من جملتهم كتاب نسكيّات اسحاق النينوي (ص ٤٤-١٨١) الذي مرّ وصفهُ

هذه بعض اعمال الآباء التي نقلها عبدالله بن الفضل الى العربيّة والتي لا شكّ في نسبتها اليهِ لوجود نسخٍ تصرّح باسمهِ . على انّنا لا نتردّد في القول بان لهذا الرجل العظيم ترجمات اخرى وقع اسمهُ منها امّا سهواً وامّا تهاملاً . وقد نجد عدّة مخطوطات معرّبة من اعمال الآباء القدماء كيوحنّا فم الذهب وكيرلّس الاسكندري ويوحنّا الدمشقي وصفرونيوس البطريرك الاورشليمي لم يُذكر اسم معرّبها فلا شكّ ان لعبدالله

ابن الفضل نصيبًا صالحًا فيها لاسيَّما انَّ بعضها ورد مخطوطًا مع تآليف أُخرى ذُكر في صدرها صريحًا اسم عبد الله بن الفضل (١

﴿ تعريبات اخرى لعبدالله بن الفضل ﴾ لابن الفضل الانطاكي تعريبات غير التي ذكرناها في البابين السابقين اعني نقلهُ للاسفار المقدَّسة ولاعمال الآباء وها نحن ندوّن هنا ما وجدنا من هذا القبيل . فممَّا ذكر لهُ البطريرك مكاريوس في النصّ الذي اثبتناهُ قبلًا تعريبهُ «لاخبار القديسين» ولم يزدنا على قوله المذكور افادةً لتعريف هذه الاخبار (٢ . ثم اضاف الى هذا العمل كتابًا آخر في القوانين الكنسيَّة قال : «وابقى لنا ( اي عبدالله ابن الفضل ) القوانين باليوناني والسرياني لانها الاصل» . ولعلَّهُ يريد بالقوانين قوانين الجامع التي وصفناها سابقًا بين مخطوطات كليَّة القديس يوسف تحت الاعداد ٢٦ و٢٧ و٢٨ كما أنَّنا رجَّحنا ( في العدد ٢٩ ) انهُ هو معرّب كتاب اعمال المجمع المسكونيّ الخامس . وفي مكتبة الواتيكان نسخةٌ تتضمَّن فضلًا عن محاورة القديس مكسيموس مع بيروس التي سبق وصفها بعض اعمال أخرى لتأليفنا عبدالله بن الفضل وهي تحتكون البطريركيَّة الانطاكيَّة في ترتيب كراسي مطارنتها واساقفتها وهو صغير لا يتجاوز عشر صفحات من صفحات هذه المجلة . ثم قانون رهبان دير الاسطوديون الشهير في مدينة القسطنطينية وهو صغير في ٢٠ صفحة من صفحات المشرق . ثم قانون رهبان اديرة جبل اثوس المعروف بالجبل المقدس وهو اكبر من قانون الاسطوديون . وفي المكتبة



١) وعند حضرة المنسنيور جرجس شاحت في حلب نسخة مخطوطة بلا تاريخ فيها تعريب مقالات القديس غريغوريوس اللاهوتي في نحو ١٠٠٠ صفحة ولا يبعد ان يكون مترجمها عبدالله ابن الفضل الانطاكي

٢) قال حضرة الاب ق . باشا : «عندي نسخة خطيَّة من الليتورجيًا في مجموعة قديمة للطيب الذكر المطران افتيميوس الصيفي رئيس اساقفة صور وصيدا منها ما هو بخط يدهِ الطاهرة ومن تأليفهِ ومنها ما كُتب بامرهِ . ومن مشتملات هذه المجموعة محاورته مع البطرك اثناسيوس الدبَّاس بشأن وضع الزاون اي الماء الحار في الكاس بعد التقديس وقد ابطل المطران استعمالهُ استنادًا الى نسخ الليتورجيات القديمة باليونانيَّة التي لا ذكر فيها للزاون مثل هذه النسخة العربية وهي تختلف عن الترجمة الشائعة في كنائسنا المنسوبة الى البطرك افثيميوس كرمة وطبعت في رومية وفي غيرها وهذه النسخة تستوقف انظار اهل البحث ولا تقلّ اهميَّتها عندهم عن النسخ اليونانيَّة القديمة التي كتبت في القرنين العاشر والحادي عشر وان كانت لا تحظى بالقبول لدى العامَّة لكثرة

اللورنتيَّة (Cod. Med. Laur., N° 76) كتاب فيـهِ ميامر لدميتريوس وليوحنَّا فم الذهب في انسحاق القلب والتوبة من تعريب عبدالله بن الفضل

فمن وقف على هذه الكتب التي وصفناها وممَّا قام عبدالله بن الفضل بتصنيفها او بتعريبها مع كثرتها واختلاف مواضيعها ودقَّة ابحاثها ادرك سعة معارفهِ ورسوخ قدمهِ في اللغات اليونانيَّة والعربية وسرعة خاطره وقوَّة مداركهِ وعلوّ همَّتهِ ونشاطهِ حتَّى اخرجها الى لغتنا العربية واشاعها بذلك بين نصارى الشرق

ولسائلٍ ان يقـول اذ كان هذا الشمَّاس معاصرًا لخائيل كيرولاريوس بطريرك القسطنطينية الذي القى الشقاق بين فرعي الكنيسة الشرقيَّة والغربيَّة (سنة ١٠٥٣—١٠٥٤) فهل كان موافقًا لهُ او مخالفًا لرأيهِ ومتحدًا مع الكنيسة الرومانية؟ نجيب ان هذا الشقاق لم يكن ممتدًا أواره الى البطريركة الانطاكيَّة من اول امرهِ فان بطرس الثالث البطريرك الانطاكي حينئذٍ لم يوافق مخائيل كيرولاريوس على رأيهِ بل رفض عملهُ صريحًا كما يظهر من المراسلات التي دارت بينهما في هذا الشأن وهي شهيرة ومن صورة اعترافهِ التي ارسلها الى البابا لاون التاسع حالما ارتقى الى كرسي البطريركيَّة وطلب منهُ الشركة حسب العادة التي كان جاريًا عليها اسلافهُ بطاركة انطاكية ولا بدَّ ان يكون هذا الشمَّاس الفاضل خاضعًا لبطريركهِ الانطاكي ورئيسهِ الشرعي مشاركًا لـهُ في معتقدهِ وموافقًا لهُ في رأيهِ بشأن هذا الشقاق ومخالفًا فيـهِ لخائيل كيرولاريوس. وفي مواضع كثيرة من كتبهِ يورد تعليم الكنيسة بشأن رئاسة القديس بطرس وخلفائهُ بغاية الوضوح كانها امر مسلَّم لا جدال فيهِ ولا اختلاف ممَّا يثبت ان هذا الشقاق المشؤوم كان محصورًا في زمانهِ بين بابا رومية وبطريرك القسطنطينيَّة ولم يكن شاملًا باقي البطريركيَّات الشرقية. وتحقيقًا لذلك ننقل ما كتبهُ في تفسير قول يوحنا في انجيلهِ: «اتحبني اكثر من هؤلاء». قال:

«اراد السيد ان يبيّن منزلة بطرس ويوضح توبتـهُ للتلاميذ ولذلك اعرض عنهم وخصصهُ بالسؤال دونهم وخاطبهُ في معنى التقدّم على المسكونة والسياسة لها واوضح لهُ مع ذلك ان سبيلهُ ان يطمئن اذ محا جحودهُ وتقلد التقدّم على اخوتهِ وما ذكر لهُ جحودهُ ولا غيَّر محبَّتهُ لهُ بل

الاغلاط الصرفية والنحوية التي درجت فيها وهي منقولة عن نسخـة كتبت سنة ٦٧٦٩ لادم الموافقة لسنة ١٢٦١ للمسيح وربما تكون هذه الترجمة لابن الفضل والله اعلم بالصواب »

قال لهُ « اتحبني أكثر من هؤلاء » ثلاث مرَّات فكان سؤالهُ لهُ ثلاث مرَّات لاجل انكاره اياهُ ثلاث مرَّات فكان كل سؤال ماحيًا لمرة من الانكار . (وقال بعد ذلك في تفسير قولهِ : ارعَ خرافي) وامرهُ ثلاث مرَّات هي هي باعيانها ليوضح مقدار كرامتهِ لهُ بالتقدم على اخوانهِ » (وقال ايضًا في تفسير قولهِ : وهذا ماذا يكون من امره ) « ان بطرس لمَّا جعلهُ الرب راعيًا ومدبرًا رغب ان يشاركهُ ويقاسمهُ بهذا يوحنا الذي كان يحبهُ يسوع وكأنهُ يقول لهُ بذلك اروم ان يكون لي مساعدًا ومشاركًا »

هذا ما بلغت اليهِ اليد القاصرة من آثار واعمال هذا الشمَّاس الفاضل العالم بعد البحث والتنقيب ولا بد ان يكون لهُ غير هذه الآثار الطيّبة والاعمال الفاضلة لم نعرفها موقوف نشرها لذوي الفضل والله يجزل جزاء المحسنين

# رحلة الى طرف بادية تدمر

للاب لويس شيخو اليسوعي



اعتدنا كلَّ سنة ان نصف لقرَّائنا بعض الجهات التي نزورها في ايَّام العطلة المدرسيَّة . فوجَّهنا النظر في هذا العام الى سياحة من حمص الى دمشق على طرف بادية تدمر وبادية الشام . فان هناك من الآثار ما يُستحبُّ معرفتهُ مع قلَّة من كتبوا في وصف تلك النواحي وعاداتها واحوال سكَّانها في امور دينهم ودنياهم

☆

وصلنا الى حمص في مساء يوم الاثنين الواقع في ١٨ ايلول . ومنذ غدٍ اخذنا في اعداد لوازم السفر على طريق البادية فاقتضى الامر يومين صرفناهما في زيارة بعض الاصحاب وتفقُّد بعض الآثار التي لم نتوفَّق الى رؤيتها في رحلتنا الاولى (اطلب المشرق ٥ : ١٠١٥) فدخلنا الجامع الكبير وعاينًا ما فيهِ من الآثار القديمة مع صحنهِ الواسع والمدارس الملحقة بهِ وقد مرَّ انَّ موقعهُ في مكان الهيكل الروماني الذي حوَّلهُ الحمصيُّون في ايَّام قسطنطين الى كنيسة على اسم القديس يوحنا المعمدان ( اطلب المشرق ١ : ٧٧٣-٧٧٥) . وزرنا كذلك مقام السيّد خالد بن الوليد فسرَّنا انا رأينا فيهِ اشغال البناء قائمة على ساق وذلك ان اهل حمص نقضوا ما كان هناك من الابنية القديمة

التداعية ليقيموا بدلًا منها جامعًا كبيرًا على هيئة جامع أيا صوفيا في الاستانة العليّة والمأمول نجاز هذا العمل قريبًا وسوف يكون من آثار حمص المقصودة

ومما زرناهُ ايضًا في حمص كنيسة القديس اليان (المشرق ١ : ٧٧٥) وكان هناك كنيسة قديمة رُمّمت منذ خمسين سنة وجُددت آنيتها واقنسطاسها . ووراء الهيكل الكبير قبر القديس من الرخام القديم وهو غفلٌ من التاريخ . وفي بعض زوايا الكنيسة غرفة صغيرة فيها بقايا من آنية التقديس والحلل الكهنوتية والنذورات . وفي جملتها صندوق يحتوي عددًا وافرًا من الكتب الطقسيّة القديمة اكثرها مخطوط بالعربيّة . بينها اربعة او خمسة كتب مكتوبة باليونانية على رقّ الغزال وهي مهمّة . وكذلك زرنا كنيسة السريان اليعاقبة التي وجد فيها آخرًا احد المستشرقين نسخة سريانية من الترجمة المعروفة بالحرقليّة فاخذ رسمها بالتصوير

*

في صباح يوم الخميس ٢٠ ايلول وكنا عربةً من حمص فسرنا شرقًا الى صدد وكنّا ثلاثة من آباء كليّة القديس يوسف . وكان احد رفيقيَّ من مدرّسي المكتب الطبي الاب موريس كولنجت كان يتوالى اليه في طريقنا اصحاب الامراض يطلبون منهُ الشفاء لادوائهم وذلك لقلّة الاطبّاء الذين يتعاطون الطب في تلك الجهات . وكان لحضرة الاب آلة تصويريّة لرسم الآثار بالنور الشمسيّ وكذلك كان رفيقنا الثالث وهو اسباني مجهّزًا بآلة بديعة استعان بها في طريقهِ لرسوم متعدّدة ولصورٍ شتّى

قطعنا الطريق في سهول فسيحة كانت حُصدت غلاّتها فسرنا معتزلين لا نجد في سبيلنا الّا بعض اهل القرى ينقلون الى حمص ما جنوهُ من الخضرة والفواكه امّا قرى تلك الجهات فقليلة وكان اوّل ما شهدناهُ منها زيدل هي قرية فيها قوم من السريان الكاثوليك وكان للآباء اليسوعيين فيها مدرسة . ثم تابعنا السير فجزنا قريبًا من فيروزة ثمّ ربّان ثمّ فحيلة وتُقسم الى فحيلة شرقيّة وفحيلة غربيّة وسكّان الغربيّة نصارى . ثمّ اتينا الى قرية رقاما واهلها من النصيريين وتناولنا عند شيخها الغداء في مضافتهِ وكان اجتمع عندهُ وجوه القرية لمواجهة الآغا الذي قدم لجمع الخراج . وفي هذه القرية بعض آثار قديمة وربّما يلقى اهلها شيئًا من نقود الرومان واليونان ارونا بعضها

وبعد الظهر بقليل ودّعنا اهل رقاما وسرنا الى صدد فكان وصولنا اليها عند

العصر . وصدد قرية كبيرة ذات مياه ومزارع وبساتين ، وموقعها جنوبي شرقي حمص . وكانت قديماً احدى المدن التي تنتهي عندها تخوم مملكة بني اسرائيل كما ورد في سفر العدد (٣٤ : ٨) وفي نبوّة حزقيال (٤٧ : ١٥) واتّخذ الرومان لهم فيها برجاً تلوح بقاياه حتّى اليوم عن بُعد . وممّا يُرى من الكتابات النصرانية القديمة كتابة يونانية في كنيسة اليعاقبة رأيناها على قطعة من جرن العماد . واكثر اهل صدد من السريان اليعاقبة لهم فيها بعض كنائس قد زيّنوا جدران كنيستهم الكبرى بتصاوير غليظة تمثّل القديسين السريان او بطاركة اليعاقبة . وللسريان الكاثوليك ايضاً في صدد كنيسة يخدمها كاهنان احدهما في مقتبل العمر من اهل القرية درس العلوم الكهنوتيّة في مدرسة الشرفة وهو يسعى بغيرة في تهذيب الاحداث وخدمة نصارى صدد فاكتسب ثقة الجميع . وكان نزولنا عندهُ فاحسن استقبالنا . وعند المساء اجتمع في ديوانه اهل القرية ليسلّموا علينا وكان في مقدّمتهم شيخ الضيعة عبد اللطيف الذي دلّنا على عدّة مخطوطات كانت في كنائس القرية او عند بعض اهلها . فأمكننا فحصها كما شئنا . واخصّ ما وجدنا بينها كتب سريانيّة كان يستعملها الروم سابقاً وهي مكتوبة بالقلم السرياني المعروف بالملكي الشبيه بالاسطرنجلي . منها فصول انجيليّة مخطوطة في قارة سنة ٧٠٨٦ للعالم (١٥٧٨) « وهي وقف الشمّاس فارس ابن المرحوم اسطفان الشهير بالديك من بلد قارى (قارة) واوقفهُ على كنيسة القديس المجيد مار جورجيوس بباطن مدينة قارى (قارة) » . ومنها انجيل « برسم الاب الخيّر الدّين القس يعقوب ابن الحاج يوحنّا من قرية كفرحلدا كتبهُ الخوري قمر ابن الحاج يوحنّا من قرية داربلي من عمل البترون من اقليم طرابلس » . ومنها سنكسار مع بقيّة الفروض الدينيّة لشهر تموز . وكان للملكيين سابقاً اثنا عشر كتاباً مثل هذا لكلّ شهر كتاب وفي مكتبتنا الشرقيّة الجزء المختصّ بشهر ايلول . وقد وجدنا ايضاً في صدد انجيلاً سريانيّاً لليعاقبة تاريخهُ سنة ١٨٠٤ لليونان (١٤٩٢ للمسيح) ونسخة بالكرشوني من كتاب تاريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي وهذا التاريخ يُطبع الآن في باريس باصلهِ السرياني ومن ترجمته العربيّة نسخة في مكتبة لندن . وهذه النسخة الثانية لم تكن معروفة في آخرها ما حرفهُ :

« كتبها ربّان عبدالله الحلبي من عيلة بيت الشدياق الذي ترهّب في دير مار موسى في النبك

تحت يد اسقف قيصر صروخان واخيرًا انتقل للشام وخدم كتّاب بيعة الشام واخيرًا ارتسم على كرسي حلب حين عيّنهُ مطرانها ابن الجروه وتبع رأي الغربيين وارتسم عوضهُ وسكن في القدس الشريف سنة ٢٠٧٩ (اعني ٢٠٧٩ للاسكندر ١٧٦٧ للمسيح)

وفي صدد هذه ولد السيّد عبدالله الصددي الذي تجوّل مدّة بين الانكليز ثم اقيم مطرانًا لطائفته اليعقوبيّة في ديار بكر وفي سنة ١٨٩٥ طلب الانضمام الى كنيسة السريان الكاثوليك لكنهُ عاد في العام الماضي الى نحلتهِ وعُهدت اليهِ البطريركيّة في دير الزعفران

وفي صباح الجمعة الواقع في ٢١ ايلول توجّهنا الى القريتين وكان مسيرنا في البريّة شمالًا . فنقلتنا العربيّة بعد ساعتين الى قرية كبيرة اسمها حُوّارين . وهي بلدة قديمة جنوبيّ شرقيّ حمص ورد ذكرها في فتوحات خالد بن الوليد قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٣٥٥) والبلاذري في فتوح البلدان (ص ١١٢) : «حوّارين حصن من ناحية حمص» . قال احمد بن جابر مرَّ خالد بن الوليد في مسيرهِ من العراق الى الشام بتدمر والقريتين ثمَّ اتى حوّارين من سنير فاغار على مواشي اهلها فقاتلوهُ فظفر بهم» . وكانت حوّارين مدينة حصينة وآثارها عديدة حتى اليوم . منها قصرها العظيم الذي شيَّدهُ الرومان ثمَّ اتخذهُ يزيد بن معاوية كمنزل كان يقضي فيهِ الأيام بالملاهي وفيهِ مات سنة ٦٤ (٦٨٤م) . وفي حوّارين آثار سبع كنائس قديمة قد بقي من واحدة منها جدرانها وحنيّتها وبعض عَمَدها مع نقوش لطيفة . وهناك كنيسة اخرى يسمّيها اهل القرية كنيسة جعارا ومما يلوح لناظرها انها كانت قديمًا هيكلًا للرومان ثمَّ حوّلها النصارى الى كنيسة بعد سقوط الوثنيّة . وفيها حجارة ضخمة واعمدة جبّارية كما في بعلبك يبلغ قطر العمود مترًا و ٢٠ سنتمترًا . وفي حُوّارين آثار اخرى تدلُّ كلها على ما كانت عليهِ في القرون السالفة . وقد وجدنا في اهلها انسًا . ورحَّب بنا شيخها ابراهيم بن خالد . وكان لهُ ولدان مُنيا بالمرض فاراهما رفيقي استاذ الطبّ فوصف لهما ما يناسب حالهما

ثمّ استأنفنا ركوب العربة قاصدين القريتين فسرنا في قفر لا يأوي اليهِ الّا بعض اهل البادية وتتقطعهُ اسراب الغزلان التي يتصيّدها العرب ولا سيّما الصُّلَيب وقد اقاموا لها حظائر واسعة تحيطها الجدران العالية الّا بعض الثُّلَم قليلة الارتفاع يحفرون وراءها

الحفائر العميقة فاذا وجدوا قطيعاً من الغزلان تأثروا اعقابهُ وردُّوهُ الى جهة الحظيرة فلا يستطيع ان يتسلَّقها لعلوّها فيسير الى الثلم الواطئة ويقفز فوقها فيقع في الحفائر فيصطادونهُ بسهولةٍ

بلغنا القريتين بعد الظهر بقليل فنزلنا ضيوفاً مكرَّمين في دير السريان الكاثوليك وأسرع حضرة رئيسهِ الاب فيلبوس فاستقبلنا بكل حفاوة · وكان وفودنا اليهِ قد وافق مساء عيد شفيع المحل القديس اليان وفيهِ يأتي النصارى من القرى القاصية والدانية ليشاركوا اهل القريتين في مناسكهم وافراحهم

فاسترحنا قليلًا وتعرَّفنا باعيان القرية من مسلمين ونصارى وتلطَّف مدير الناحية فبادر الى زيارتنا وكان الجميع يتسابقون الى خدمتنا فشكرنا فضلهم · وفي عصر النهار جاءنا شيخ قبيلة الصليب فدعانا الى زيارة قومهِ وكانوا مخيمين في خارج القريتين على مسافة ثلاثة ارباع الساعة · فانتهزنا هذه الفرصة الوحيدة لنظر هؤلاء الجوَّالة وللبحث عن احوالهم وكان حضرة الاب انستاس في مقالة مستلحة (المشرق ١: ٦٧٣—٦٨١) وصف احسن وصف هذا الجيل من الناس وزاد رغبتنا في معرفتهِ · فسرنا اليهم في اصيل النهار واذا هم مقيمون في وهدةٍ نصبوا فيها خيامهم منذ نحو اسبوعين وكان عددهم نحو ٢٠٠ بين رجال ونساء واطفال · فما رأونا مقبلين اليهم حتى جاءنا شيخهم مع رجالهِ وانزلونا في احد مضاربهم وكانت النساء مع اطفالهنَّ يكتنفنَ بنا ويظهرن انسهنَّ بمشاهدتنا · فسألناهم اشياء عن معاشهم وعاداتهم فكان كلامهم يوافق في الغالب ما دوَّنهُ حضرة الاب انستاس في مقالتهِ السابق ذكرها · ولم يأبوا ان يمتّعونا باقاصيصهم ويسمعونا شيئاً من اغانيهم ويطربونا برقصهم ولهم الطباع الدمثة والعرائك اللّينة التي تحبّبهم الى جميع القبائل فلا يعتدون على احد ولا يعتدي عليهم احد · ومن عاداتهم رعية المواشي وهم يركبون الحمير البيض ويتصيَّدون الغزلان فيلبسون جلودها وقد رأينا منهم من يتفاخر بهذه الثياب · ثم زرنا مَرضاهم ووصف لهم طبيبنا بعض الوصفات المناسبة ولما عرضنا عليهم بان يقوموا ازاء الآلة التصويريَّة اجابوا الى ذلك بطيب الخاطر فاخذنا صورهم على هيئات شتَّى · وللصُلَيب سحنة غير سحنة اهل البادية يشبهون نوعاً في صورهم الاجانب · ولغتهم كلغة عرب البدو يدخلها الفاظ خاصَّة بهم وعبارات يتعارفون بها · وهم يرسمون على مقتنياتهم صورة الصليب فتكون

كبسة يفرزون بها عشائرهم عن سواهم . ثمَّ عدنا الى القريتين بعد ان قضينا ساعةً بين الصليب نتقصّى اخبارهم

وفي مساء النهار افتتح كهنة السريان ورهبانهم عيد القديس اليان بالصلوات الفرضيَّة وليس هذا القديس نفس القديس المكرَّم في حمص . فان هذا مات شهيدًا في حمص سنة ٣١٢ للمسيح وكان طبيبًا . امَّا القديس اليان المكرَّم في القريتين فيزعمون انَّ اصلهُ من فارس وانَّهُ جاء زائرًا الاراضي المقدَّسة ثمَّ انقطع الى اعمال الزهد في طور سينا ونصَّر كثيرين من عَبَدة الاصنام . ويرتأي اليعاقبة ان اليان هذا حضر المجمع النيقوي وانهُ صار بطريركًا على انطاكية وتوفي سنة ٦٧٨ لليونان (اي ٣٦٦ للمسيح) . وليس شيء في التاريخ يؤيد هذا القول . ويزعمون انهُ قبل وفاتهِ اوصى بان يجعل جسمهُ على عجلة يسير بها ثوران فيُدفن حيثما ينتهيان فوصلت العجلة الى هذا المحلّ وبهِ دُفن وهناك ناووس من رخام قديم عليهِ نقوش يشبه نواويس القرون السالفة يقال انَّ فيهِ ذخائر القديس وعلى الناووس كتابة سريانية بالقلم السطرنجلي لم يسمح لنا الوقت بقراءتها . وعلى باب الكنيسة كتابة عربيَّة للامير سيف من سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣م) يحظر على اهل البادية ان يأذوا سكَّان الدير . وفي هذه الكنيسة وُجد قبر قديس يُدعى سمعان يظنُّون انهُ القديس سمعان المعروف بالسالوس (اي البسيط) . وفيها ايضًا عدَّة كوى محفورة في الحائط تدلّ على انها كانت سابقًا مدافن لاهل الدير . وكان على يمين ناووس القديس اليان مقام صغير يقدّم فيهِ الكهنة الذبيحة الالهيَّة ولهذا المقام باب من خشب جميل النقش يمثّل تصاوير من النبات والحيوان كالسنابل واغصان الكرم والغزلان (١

وفي صباح السبت قام الزوَّار باكرًا واجتمعوا في الكنيسة لحضور حفلات العيد التي تمَّت بكل أُبهة وتقوى . وكان حضرة الرئيس رغب الينا بان نلقي على الحضور خطابًا في صاحب العيد فلبَّينا دعوتهُ وشاركنا اهل القريتين في اكرام شفيعهم . ثم اخذنا نجول بعد القدَّاس في جهات القريتين لتفقُّد آثارها

القريتان بلدة متوغلة في القدم يرجّح البعض كونها المدينة المذكورة في سفر العدد

١) واهل هذه الجهات يلتجئون الى القديس اليان في كلّ عاهاتهم لا سيَّما في الجنون فاذا جُنَّ احد اتوا بهِ الى الكنيسة وحبسوهُ فيها ليلًا فيشفي باذن الله على ما اكَّد لنا كثيرون

(٩:٣٤) باسم حصر عينان والمعنّة كاحد تخوم بني اسرائيل الشماليّة . وكانت تُدعى في عهد الرومان باسم نزالة ( Nezala ) وقد حصّنوها لوقوعها في طريق تدمر ثم عُرفت باسم قرادى وكان لها اساقفة حضر احدهم سنة ٤٥١ المجمع الخلقيدوني وامضى اعمالهُ . وكانت قرادى منقسمة الى قسمين ولذلك دعاها العرب بالقريتين واليوم لم يبقَ من القسم الجنوبي الّا بعض الآثار . قال ياقوت في معجم البلدان (٧٦:٤) : « والقريتان قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرّية بينها وبين سخنة وأرَك واهلها كلهم نصارى » ثمّ ذكر ان الخالد بن الوليد استولى عليها وانها هي « التي تُدعى الحوّارين » وقد مرّ انّ الحوّارين قرية اخرى في جنوبي القريتين على مسير ساعتين منها . واهل القريتين يبلغون اليوم ١٥٠٠ نفس الثلثان منهم مسلمون والباقون نصارى سريان القسم الاكبر منهم كاثوليك

والقريتان طيّبة المياه كثيرة البساتين فيها العنب الفاخر الشهير وحبوبهُ كبيرة وردية اللون لذيذة الطعم . وللقريتين حصن صناعي كما في حمص وحماة وحلب كان فيه ابنية عظيمة . ويُرى الآن في اسفله برج مربَّع مبنيّ بالحجارة الضخمة

وعلى بعض مسافة من القريتين حمّامات معدنيّة طبيعيّة تصلح للنترس ولوجع المفاصل . ومن جملتها عين ماء كبريتيّة غزيرة يستحمّ بها المصابون بامراض جلديّة

ومن وجوه القريتين السيّد فيّاض اغا الفارس لهُ فيها دار عامرة حسنة البناء فيها عدّة آثار تدمريّة كتماثيل وكتابات تزين بيتهُ احسن زينة وكان جنابهُ وقت مرورنا غائباً الّا انّ احد اولاده جناب سعيد بك اكرم مثوانا وسمح لنا بتصوير تلك الآثار ورسم الكتابات وكان سبقنا الى رسمها بعض السيّاح الّا انّا وجدنا في قراءتهم لهذه الخطوطات خللًا سوف يصلحهُ قريباً اساتذة مكتبنا الشرقيّ

ثمّ رجعنا الى مقامنا في ضُحى النهار فوجدنا اهل القريتين مجتمعين يقضون ساعات يوم العيد بالراحة والتلاهي . وقد حضرنا رقصهم المعتاد المعروف بالدبكة وهم يضبطون حركاته بكل ضبط فأمكن حضرة الاب كولنجت ان يدوّن اوزان هذه التلاهي وفي ذلك فوائد لمعرفة الموسيقى العربيّة القديمة التي صبرت آثارها بين القرويين على تمادي الاعصار

امّا الخطوطات القديمة فلم نجد منها في القريتين الّا النزر القليل من ذلك جزء

من كتاب في الطب لم يمكنّا معرفة مؤلفهِ النصراني تاريخ كتابتهِ سنة ٢٠٤٧ لليونان (١٧٣٥م) وكتاب الصلوات الفرضيَّة اي الفنقيط بالسريانيَّة تاريخهُ سنة ١٤٠٨ لليونان اي ١٠٩٦ للمسيح اوقفهُ صاحبهُ

«على كنيسة الحدث اتي بقرب حوارين وهبن على الرهبان والقسوس والشمامس المصلين بالكنيسة العامرة مار سمعان العمودي وحرموا ان يكون الى غيرها ما دام بها اسم نصراني واحد ساكن وان عُدم النصارى منها انتقل منها ذلك الوقف على الدير العامر الذي يسمَّى مار اليان الشاطي العراقي الذي بجانب القريتين فيُحفظ فيهِ الى ما يرجع الى البلد المذكور ولو واحد من اهلها . . . . »

ومن هذا يظهر انَّ دير مار اليان معروف في القريتين منذ ثمانمائة سنة (لهُ بقيَّة)

# مطبوعات شرقية جديدة

F. H. WEISSBACH : **Die Inschriften Nebukadnezars II im Wâdi Brisâ** und am Nahr el-Kelb Wissensch. Veroeffentlichungen d. D. O. G. Heft 5) gr 4°, illustr. *Hinrichs*, 1906.

كتابات نبوكدنصَّر الثاني في وادي بريسا ونهر الكلب



لدى رجعتهِ من بابل منذ بضع سنوات القى المسيو ڤيسباخ ( Weissbach ) عصا ترحالهِ في سوريَة قصدَ ان يجمع الكتابات المسماريَّة ويدقق الفحص فيها لِما لها من الخطارة عند العلماء . وفي اثناء سنة ١٩٠٣ بشَّر بظهور خلاصة ابحاثهِ لكنَّهُ لاسباب شتَّى اجَّلها الى الآن فهي الجزء الخامس من المصنَّفات العلميَّة التي تقوم بنشرها جمعيَّة المستشرقين في المانية . ثم اكتشف المسيو پونيون (Pognon) في سنة ١٨٨٣ اذ كان نائب قنصل في بيروت كتابتين مسماريَّتين باحرف ناتئة قد حُفرتا على سنح صخر في وادي بريسا المجاورة للهرمل احداهما بالحرف البابلي القديم والاخرى بالحرف البابلي الحديث وكلتاهما عن لسان الملك الشهير نبوكدنصَّر الثاني. وقد اخبرنا الكتاب المقدَّس والتاريخ عنهُ انهُ عسكرَ في ربلة على مقربة من الهرمل قبل زحفهِ على اورشليم . فنشر المسيو پونيون ملاحظاتهِ في هاتين الكتابتين (١٨٨٧) تحت عنوان : « الكتابات البابليَّة في وادي بريسا ». فأتت مطابقةً اوانئذٍ لمبادئ العلوم الصادقة ولم تزل الى الآن من ادق ما كُتب في احوال اللغة البابليَّة . فوالحالة هذه لم يقم عمل المسيو ڤيسباخ الَّا بمقابلة

نصّ المسيو پونيون واتّخاذ رسوم جديدة للكتابتين وايضاح بعض اقسام منها لم يتوصّل من سبقهُ الى حلّها . وقد ساعدهُ بهمّتهِ المسيو لوپك (Lüpke) فاخذ رسوم الاثرين بدقّةٍ ومهارة . فجاء بحثهُ متسعاً ومصحِحاً لابحاث المسيو پونيون والمسيو لانكدون (Langdon) العالم الاميركي في كتابهِ «الكتابات الحجريّة في المملكة البابليّة الحديثة» فانهُ تكلّم فيهِ عن كتابتي بريسا (راجع الجزء الاول ص ١٥٢—١٧٥) ثم ادرج مقالة في «مجموع الاعمال» (الجزء الثامن والعشرون وجه ٢٨—٦١) مدارها على «كتابات وادي بريسا ونهر الكلب»

ومنذ الابتداء ظهر جليًا ان كتابتي وادي بريسا تنبئان عن الابنية التي شيّدها نبوكدنصّر الثاني في بابل اكراماً لمردوك وسائر الهتهِ وان الكتابة في الحرف البابلي الحديث هي عين الكتابة المدوّنة بالحرف البابلي القديم وممّا استحثّ نبوكدنصّر لحفر هاتين الكتابتين شهرةً لاسمهِ ولآثرهِ هو استعمالهُ لارز لبنان ولاحراجهِ لتشييد هذه الابنية وقد أمر فحُفِر رسمهُ تحت الكتابة الواقية للكتابتين وهو بهيئة رجل يصارع اسداً (١

واوّل من نبّه عن كتابات نهر الكلب هو المسيو مارتين هارتان (١٨٧٨) ثم اخذ المسيو لويتفد (Loytved) رسومها واطلع عليها العالمين سايس (Sayce) ولونزان فوضعا فيها مقالات (١٨٨١ و ١٨٨٢). وقد طمس معظم هذه الكتابات وكانت قدماً تقوم على دعائم قناة للمياه تنتهي يمنةً عند الشاطئ قرب مصبّ النهر . ولم يتوصّل المسيو ڤيسباخ الى اخذ رسوم جديدة لموانع جوّيّة فاتباع الرسوم التي اخذها لويتفد واجرى فحصهُ عليها

ويظهر من نصّ هذه الكتابات رغماً عن تلفهِ انهُ كان جزئين احدهما في البابلي القديم والاخر في البابلي الحديث فارتأى المسيو ڤيسباخ انها عين كتابات وادي بريسا

---

١) اكتشف الاب لامنس (١٨٩٩) رسم رجل يقاتل اسداً في وادي اكروم على شمالي وادي بريسا وليس لهذا الرسم كتابة تنبئ عن حالهِ . (راجع الخزانة البلجكيّة Musée Belge — المجلّد السادس الوجه ٢٧ والمجلّة الكتابيّة الجزء الثاني عشر الوجه ٦٠١) اما المسيو ڤيسباخ فانهُ لم يزر هذا الاثر لكنهُ يرتأي ان الرسم يمثّل رجلًا فينيقياً وعندي انهُ اخطأ في ظنّهِ

باختصار ونحن نصادق على قوله • ومهما كان الامر فاننا نرى رأيهُ اقرب للحقيقة من رأي المسيو لانكدون الذي يزعم ان كتابات نهر الكلب هي تابع وملحق لكتابات وادي بريسا • وعلى كل حال اننا نحض واضع هذا البحث النفيس اخلص التهاني وقدّم لهُ الشكر الجيم فانهُ اتحفنا بمقالة علمية آية في طبعها ودقّة رسومها وصورها س • ر

**J.-B. Bainvel**, professeur de Théologie à l'Institut Catholique de Paris. — La Dévotion au Sacré-Cœur de Jésus. Doctrine — Histoire — *Paris, Gabriel Beauchesne*. 1906. In-8°. 373 pp.

العبادة لقلب يسوع الاقدس

هذا عنوان كتاب وضعهُ ج • ف • بانقيل احد اساتذة اللاهوت في كليّة باريس الكاثوليكيّة وبحث فيه عن كلّ ما يتعلّق بالعبادة لقلب يسوع الاقدس من مسائل لاهوتيّة وفلسفية وتاريخية وطبيعيّة حتى اصبح اوفى مصنّف في هذا الموضوع • ولا عجب لان الاستاذ بانقيل رجل عقل ثاقب وعلم واسع وانتقاد دقيق وعبارة منسجمة فاحرز لمؤلفاته شهرة طائرة • وقد قسم كتابهُ في عبادة قلب يسوع الى ثلاثة اقسام ففي الاول دقّق النخص في كتابات الطوباويّة مرغريتا مريم وفي تنازُل السيد المسيح وظهوره لها مرّات متعددة وفي مواعيده بنعمٍ جمّة للذين يمارسون عبادة قلبه الاقدس • وفي القسم الثاني بحث بحثاً لاهوتياً وفلسفياً وتاريخياً في موضوع هذه العبادة واثبت انهُ قلب المخلّص باعتباره كرمز تلك المحبّة العظيمة التي ما زال ابن الله ولن يزال يظهرها للبشر • وفي هذا البحث برهن المؤلف عن تضلُّع في العلوم اللاهوتيّة والطبيعيّات فدحض مناقضيه بالادلّة الساطعة وفنّد مزاعمهم وما ترك لهم سبيلاً للمناصلة عنها • وعندنا ان اهم الكتاب يقوم في هذا الجزء لما يتضمّنهُ من المسائل ولما اظهر فيهِ حضرة الاستاذ بانقيل من المهارة في الجدل ودقّة الانتقاد وغزارة العلم واللطف نحو الاخصام • وفي القسم الثالث نرى ان الغرض من عبادة قلب يسوع الاقدس هو اكرام محبة السيد المسيح ومقابلتها بمحبتنا لاقنومه الالهي • وينتهي الكتاب بملحق تاريخي عن هذه العبادة منذ نشأتها الى الآن • وليس بوسعنا ان نعطي هذا المؤلف حقّهُ من المدح فحسبنا القول انهُ منسجم الانشاء واضح المعاني يفهمها القرّاء وان لم يكن لهم اطّلاع بالعلوم اللاهوتيّة والفلسفيّة فهو اذاً يغني عمّا سواه في هذا المعنى •

فنسأل الرب ان يمدّ بحياة واضعهِ ليتحفنا بتصانيف عديدة ينجم عنها مجد الله وخير القريب

## كتاب المتعبدين لقلب يسوع الاقدس

خرج هذا الكتاب من مطبعة حضرة الآباء الدومينيكيين في الموصل (ص٣٩٦) الذين بذلوا النفس والنفيس في بث الروح المسيحي بين النصارى في تلك الاصقاع التي ارسلتهم اليها العناية الالهية · وهو عبارة عن تأملات ومباحث وعواطف من شأنها ان تؤول بالمسيحي الى التمسك بعرى الدين والاقبال على خدمتهِ تعالى · وقد وُضع بانشاء سهل المأخذ بعيد عن التصنّع والتنميق وهذا جلّ ما ترغبهُ في مؤلّف مثلهِ · جازى الله واضعهُ جزاء حسنًا وحقّق املهُ باكرام قلب يسوع الاقدس ومنفعة المسيحيين ي · خ

## اصول البصلتيكا او مبادئ الترتيل اليوناني الكنسي

نشرهُ الاب هابيل كوتوريه من جمعيّة مرسلي افريقية ( الاباء البيض )

طبع في اورشليم بمطبعة الارض المقدّسة سنة ١٩٠٦ ( ص ١٤٩ )

انّ للغناء الكنسي في الطوائف الشرقيّة شأنًا عظيمًا اذ يساعد كثيرًا على ابّهة الحفلات الدينيّة ويجرّد العقول عن الامور الزائلة ليرتقيَ بها الى الافكار العلويّة · ولهذا الغناء اصول راهنة وقواعد ثابتة كثيرًا ما تتضعضع وتتبدد بالتقليد الشفاهي فيزيد الملحنون وينقصون كما يعنّ لهم من دون مراعاة الاصول الفنيّة · وعليه قد استحسنّا ما باشرهُ بعض افاضل الكاثوليك الشرقيين من تدوين هذه القواعد الموسيقيّة ووضع رسوم يعود اليها الدارسون لاتقان الالحان الكنسيّة والجري عليها باتفاق ونظام في كلّ الكنائس · وللطقس اليوناني في هذا الشأن قوانين قديمة اصطلح عليها قوم من اهل الخبرة واتّخذوا لها علامات معلومة تؤدي بدارسيها الى احكام فنّ الغناء الكنسي الذي يدعونهُ بالبصلتيكا · وكانت هذه الاصول حتى الآن شائعة عند اليونان في لغتهم فأحب الاب هابيل كوتوريه ان ينشرها ايضًا بين الملكيين في العربيّة وحضرتهُ استاذ الموسيقى اليونانيّة في مدرسة القديسة حنّة منذ سنين عديدة · فوضع هذا الكتاب على طريقة علميّة قريبة المنال تسهّل للدارسين ضبط الالحان الكنسيّة فنشكر حضرة المؤلف على هذه الخدمة المعتبرة للطقوس الشرقيّة ونتمنّى لكتابهِ رواجًا في كلّ المدارس الاكليريكيّة اليونانيّة

## كتاب ليترجيّة القداس الالهي

حسب طقس الكنيسة الارمنيّة المقدّسة

ترجمهُ من الارمنيّة الى العربيّة القس كركور عجميان الارمني الكاثوليكيّ الحلبي

طبع بالمطبعة المصريّة في الاسكندرية سنة ١٩٠٤ (ص ١٩١)

هذا اثرٌ آخر من همّة محبّي الطقوس الشرقيّة وهو يحتوي تعريب لطقوس الذبيحة المقدّسة في الارمنيّة. وهذه الصلوات جليلة كثيرة التقى وبليغة المعاني الّا انّ كثيرين من الارمن الكاثوليك لا سيما في بلاد الشام لجهلهم اللغة الارمنيّة لم يستفيدوا من اثارها الطيّبة فاراد حضرة القس كركور عجميان ان يستدرك هذا النقص بتعريب تلك الفرائض وقد ساعدهُ على نشرها بسدّ النفقات غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك اذ كان مطرانًا على اهل ملّتهِ في القطر المصري. والكتاب المذكور صغير الحجم جليّ الطبع حسن التعريب يتضمَّن فضلًا عن صلوات القداس اليومي مقدّمات القداس الخاصّة بأيام الآحاد والاعياد السيّديّة وما سواها مع الاناشيد لعيد ميلاد الربّ وبعض الاعياد الاحتفاليّة. فنثني على فضل المترجم ونحضّ الارمن الكاثوليك على الاستعانة بهذا الكتاب في طقوسهم



J. Hirschberg, J. Lippert und E. Mittwoch: ʿAmmar b. ʿAli al-Mausili: Das Buch der Auswahl von den Augenkrankheiten. Halifa al-Halabi: Das Buch von Genügenden in der Augenheilkunde. Salah ad-din: Licht der Augen. *Leipzig*, Veit, 1905, 8° pp. 262

تآليف عربيّة في امراض العيون

هذه مرّة ثالثة نثني على غيرة الدكتور هرشبرغ لانصبابهِ على درس آثار اطبّاء العرب (اطلب المشرق ٨: ٢٨٢ و ٩٥٨) وخصوصًا في الامراض البصريّة. فانهُ نقل الى الالمانيّة تذكرة الكحالين لعليّ بن عيسى ثم توسَّع في دروسهِ وبحث عن كلّ التآليف العربية التي صنّفها نطس الاطبّاء في هذا الباب ونقل منها شذرات حسنة لا سيما من الكافي في الكحل لخليفة بن ابي المحاسن الحلبي. وقد استعان في هذه المباحث المفيدة بطبيبين المانيين وهما الدكتور ليبرت والدكتور متفوخ وكلاهما من كبار اطباء برلين. واليوم قد اجتمع الثلاثة الكتبة على وضع كتاب آخر جمعوهُ من تآليف ثلاثة

من اطبّاء العرب وهم عمّار الموصلي صاحب كتاب المنتخب في علاج العين وخليفة بن ابي المحاسن الحلبي مؤلف الكافي في الكحل وصالح الدين بن يوسف الكحّال الحموي مؤلف كتاب نور العيون . فعرّفوا اوّلا كلّا من هؤلاء الاطباء وما بقي من تآليفهم ثمّ خصّوا بالنظر ما وضعوهُ في امراض العيون . ونقلوا من تآليفهم فصولًا واسعة ترجموها الى الالمانية وذيّلوها بالحواشي اللغويّة والتاريخيّة والانتقاديّة التي من شأنها ان تبيّن فضل اولئك الكتبة او تستدرك ما وقع في اقوالهم من الاغلاط . وما يقال اجمالًا انّ هذا الكتاب من افضل ما وضع في هذه السنين الاخيرة لتعريف تاريخ الامراض العينيّة بين العرب . فلا يسعنا الّا أن نشكر الدكاترة الثلثة الذين ابرزوا بهذا التأليف ما لقدماء الشرقيين من الفضل في علاج الامراض البصريّة ل . ش

## شذرات

اللغة الطبليَّة بين الوسائط العجيبة التي اخترعها بنو آدم ليبثّوا بها افكارهم ويناجوا بني جلدتهم لغةٌ مبنيَّة على ضرب الطبول . وهذه اللغة شاعت بين الشعوب الهمجيَّة في جنوبيّ اميركة وفي بعض جزائر اوقيانية وسواحل افريقية كساحل الذهب وكرون . وفي تلك البلاد قد اصطلحوا على نغمات ثلاثة طبول مختلفة الاصوات من ثقيل وخفيف ووسط يدقّونها دقّات معلومة سريعة او بطيئة او متناوبة لكل دقّة معنى اصطلاحيّ يتعلّمهُ صغار القوم منذ حداثة سنّهم . والعلماء قد وجّهوا اليوم نظرهم الى هذه اللغة ليدرسوا خواصها وتاريخها وكيفيَّة انتشارها في بلاد بعيدة عن بعضها . ومن عجيب امرها انّها تنوب عن كل لهجات اللسان حتّى اذا سمعها السامع لاوّل مرّة ادرك معانيها كما يدرك القارئ بالنظر في الكتاب جميع معانيه

تدوين الكهرباء الجويّة قد اخترع مؤخرًا احد الآباء اليسوعيين في بلاد المجر اسمهُ زوكوتنسكي (Zokotynski) آلة عجيبة لتدوين كهربائيّة الجو ركّبها من اجهزة شتّى غاية في البساطة ساعدهُ فيها الاب فيني (Fényi) مدير المرصد الفلكيّ في مدرسة كالوتشا اليسوعيَّة . وهذه آلة حسّاسة جدًّا تدوّن كلّ حركات

الكهرباء والبرق على مسافة نيف و ٤٠٠ كيلومتر واوّل ما اختبرها في جنوبيّ افريقية سنة ١٩٠١ ثمّ لم يزل يحسّنها حتى صار عليها اليوم المعوّل في رصد البرق وكهربائيّة الجوّ

# أسئلة وأجوبة

س طلب الينا م. ش احد ادباء البلدة : ١ً هل ان سادوم وعامورة لا تزالان آهلتين أم مقفرتين يختلف اليهما شُذاذ الآفاق ٢ً وهل صحيح قول القائلين انّ ثمار هاتين البلدتين فاسدة لا تؤكل وهل ان امرأة لوط التي تحوَّلت الى ملح لا تزال باقية بحالة التحويل ٣ً لماذا الآباء اليسوعيون غيّروا بعض عبارات الانجيل المقدَّس المطبوع عندهم عربيّاً في حين ان هاتيك العبارات صحيحة غير فاسدة ؟

سادوم وعمورة وآثارهما

١ الجواب على ( الاوّل ) انّ سادوم وعامورة خُسف بهما كما ذكر سفر التكوين (١٩ : ٢٤) لمّا حلَّ عليهما غضب الله لمآثم سكّانها ومن ثمّ ليستا بآهلتين بل لا يتّفق العلماء على تعيين موقعهما في جهات بحر لوط والمرجّح انهما كانتا في جنوبيه . وجوابنا على ( الثاني ) انّ شواطئ بحر لوط لا تزال حتّى اليوم محرقة وتربتهـا رماديّة لا ينبت فيها الّا بعض النباتات الضئيلة التي لا تصلح لرعية المواشي . وكذلك شجرها قليل لا يأتي الّا باثمار تافهة لا تؤكل . امّا تمثال امرأة لوط التي تحوّلت الى نصب من ملح بفعل العوامل الطبيعيّة التي جرت يوم خروجها من سادوم ( تكوين ٢١ : ٢٦ ) فان تقليد اليهود والنصارى انّ هذا النصب كان يُرى بعد الحادث بزمان مديد . وقد اخبر يوسيفوس في كتابه العاديّات اليهوديّة ( ك١١ف ٤ ) انّهُ رآهُ في هذه الحالة . وكذلك روى الامر اقليميس تلميذ القديس بطرس في رسالته الاولى الى اهل قورنتس ( ف١١ ) والقديس ايريناوس في كتابه ضد الهرطقات (ك٤ف٣١) . وحتى اليوم يُرى جنوبي غربي بحر لوط رأس يُدعى رأس أسدوم على عطفه الشرقي نصبٌ من الملح طولهُ ١٥ مترًا يدعوهُ عرب تلك البلاد امرأة لوط . جوابنا على ( الثالث ) ان في تعريب طبعتنا للاناجيل المقدَّسة بعض اختلاف عن النصوص المتداولة لانّ المعرّب وجدها اقرب الى الاصل اليوناني الذي كتبت فيه . ويا ليت السائل ذكر شيئًا من هذه العبارات فنجيبهُ عليها فردًا فردًا

ل . ش